مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٣- البحث ٢٢

الأسباب النفسية لظاهرة الغلو في التكفير

د. بكر محمد سعيد عبد الله

أستاذ مساعد بعمادة المركز الجامعي لخدمة المجتمع والتعليم المستمر - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمه:

يقول الإمام الشوكانيّ – رحمه الله – مجسداً مشكلة التكفير: "وها هنا تُسكَب العبرات ويُناح على الإسلام وأهلِه بما جناه التعصّبُ في الدين على غالبِ المسلمين من الترامي بالكُفر لا لسنّةٍ ولا لقرآن، ولا لبيانٍ من الله ولا لبرهان، بل لما غلَت به مراجلُ العصبيّة في الدين، وتمكّن الشيطان الرجيم من تفريقِ كلمة المسلمين لقنَّهم إلزاماتِ بعضِهم لبعض بما هو شبيهُ الهباء في الهواء والسّراب بقيعةٍ، فيا للهِ والمسلمين من هذه الفاقِرة التي هي أعظمُ فواقرِ الدين، والرّزيةِ التي ما رُزِئ بمثلِها سبيلُ المؤمنين..."[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهج أهل العلم الربانيين من أهل السنة العاملين: " وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم: العلم والعدل والرحمة: فيعلمون الحق الذين يكونون به موافقين للسنة، سالمين من البدعة. ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾. ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير، والهدى، والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبيّنوا خطأهم وجهلهم وظلمهم: كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وأن يكون الدين–كله– لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا"[2] والتسرع والغلو في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة، وأعمال محرَّمة شرعاً بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة

(١) محمد بن على الشوكانى"السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار" تحقيق: محمود إبراهيم زايد (١٩٨٨) القاهرة: المجلس الأعلى للأوقاف والشؤون الإسلامية (ج٤/٥٨٤ص–٥٨٥).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية "الاستغاثة في الرد على البكري" تحقيق: عبد الله بن دجين السهيلي (١٤١٧)، الرياض:دار الوطن (٢/٤٩٠).

الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غِنى للناس في حياتهم عنها:

فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقْدِم على التكفير لأدنى شبهة ؟[1]

من هنا كان هدف البحث الحالي وهو الإجابة على هذا السؤال، ويتمثل نطاقه في استقصاء الأسباب النفسية التي قد تدفع الفرد إلى الوقوع في شرك الغلو في تكفير الأفراد والمجتمعات، وذلك محاولة للتبصير ببعض العوامل التي قد تؤثر في اتخاذ القرار التكفيري، والتي لو أخذت بعين الاعتبار لكان للقرار وجهة مختلفة، يعصم الفرد بها نفسه من التردي في مهاوي الزلل، ويمنع عن الآخرين أبشع التهم، ويجنب المجتمع أشد الفتن، فالوقوف على هذه العوامل إنما يعد تشخيصاً تمهيدياً للعلاج وذلك من خلال تناول المحاور التالية:

- أولاً: أسباب متعلقة بخصائص البنية المعرفية لدى غلاة التكفير.
- ثانياً: أسباب متعلقة بما يقدح في صحة التفكير كالمغالطات المنطقية واعتراضات القياس.
- ثالثاً: أسباب متعلقة بالانفعال والعاطفة كالتعصب والغلو وما يؤثر على اتخاذ القرار.
- رابعاً: أسباب متعلقة بعدم السواء النفسي واضطراب الشخصية .

مصطلحات البحث:

- الغلو في التكفير: " مجاوزة حدود العلم والعدل والرحمة، والتنطع لأدنى شبهة في إصدار حكم غير صحيح بتكفير المطلق أو المعين".

(١) هيئة كبار العلماء (١٤١٩) " بيان هيئة كبار العلماء حول خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت"
islam.com/Display.asp?id=2&f...9– mahawer.al

- الأسباب النفسية: " مجموعة العوامل المرتبطة بخصائص البنية المعرفية، والتفكير، والانفعال والعاطفة واضطرابات الشخصية المرتبطة بظاهرة الغلو في التكفير " .

أولاً: أسباب متعلقة بخصائص البنية المعرفية لدى غلاة التكفير:

سنتناول في هذا المبحث بيان خصائص البنية المعرفية لمن له حق النظر والحكم في التكفير ثم مظاهر الخلل في البناء المعرفي الكامنة وراء ظاهرة الغلو في التكفير:

ا- بيان خصائص البنية المعرفية لمن له حق النظر والحكم في التكفير:

يعد مفهوم البنية المعرفية من أهم المفاهيم المعاصرة في مجال علم النفس المعرفي، فهي مستقر التعلم والخبرة ومادة التفكير التي تسهم بدرجة كبيرة في تحديد مستوى وجودة نواتج التفكير، وقد يطلق على البنية المعرفية مصطلحات مختلفة منها على سبيل المثال المعرفة البنائية " Structural Knowledge" الذي استخدمه كل من: ديكهوف، ديكهوف & "Diekhoff Diekhoff" (1982) وجوناسن وآخرون "Jonassen et al. (1993) " مؤكدين على العلاقة بين الأفكار في نطاق المعرفة. كما يرتبط مصطلح المعرفة البنائية بتجهيز المعلومات لتنظيم شبكات من الأفكار المخزنة في ذاكرة المعاني أو الذاكرة طويلة المدى[1]، وللبنية المعرفية تعريفات عديدة منها تعريف "اندروود" (1978) "Underwood" بأنها "منظومة المعلومات الحقائقية والإجرائية وتقوم بتحليل المعلومات المنقولة إليها وتجهيزها، وتؤدي وظائف مثل الإدراك وحل المشكلات والتحكم في الفعل، وهي تعتمد في جوهرها على

(١) Chin–Chung, T. and Cheo–Ming, H. (2001): Development of cognitive structures and information processing strategies of elementary school students learning about biological "Reproduction" Journal of Biological Education. Vol. (36), issue (1) pp.21–27.

خبرات الفرد الماضية واستعداداته العقلية والمعرفية"، كما يعرفها "شافلسون" (1974) "Shavelson" بأنها "بناء افتراضي يبين وجود المفاهيم وعلاقاتها في الذاكرة طويلة الأجل"[(١)].

ويعرفها "أوزوبل وروبنسون" (١٩٦٩) "Ausubel & Robinson" بأنها المحتوى الشامل للمعرفة البنائية وخواصها التنظيمية المميزة التي تميز المجال المعرفي للفرد"، ويعرفها "فتحي مصطفى الزيات" (١٩٩٦) بأنها"[(٢)] " تمثل محتوى خبرات الفرد المعرفية كماً وكيفاً بما تنطوي عليه من تنظيم وترابط وتمايز وتكامل واتساق واستراتيجيات استخدامها في مختلف المواقف، ويشير المحتوى المعرفي بما ينطوي عليه من خصائص إلى الحيوية والفعالية والتغير والنمو على ضوء نمط التفاعل بين الخبرات والمعلومات السابقة من ناحية، والخبرات والمعلومات الجديدة من ناحية أخرى، كما تشير استراتيجية الاستخدام إلى الناتج الذي تفرزه البنية المعرفية لمعالجة موقف التعلم أو الموقف المشكل .كما يعرفها الباحث بأنها[(٣)] "تكوين معلوماتي في ذاكرة الفرد ذو أبعاد كمية وكيفية يتصف بالدينامية نتيجة عمليات وتفاعلات بين مكوناته بعضها البعض ومع مدخلاته ويمثل مستقر الخبرة، وله وظيفة إنتاج المخرجات التي يواجه بها الفرد المواقف التعليمية أو المواقف المشكلة" .

(١) Ying–Tien, Chin Chung, Development of Elementary School Students' Cognitive Structures and Information Processing Strategies under Long–Term Constructivist–Oriented Science Instruction, Science Education, v89 n5 p822– 846 Sep 2005

(٢) فتحي مصطفى الزيات (١٩٩٦م): "سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي". القاهرة، دار النشر للجامعات.

(٣) بكر محمد سعيد (٢٠٠٩م) " أبعاد البنية والعمليات المعرفية وتأثيرها على الحلول الابتكاريه للمشكلات لدى طلاب الصف الأول الثانوي في ضوء أساليب التفكير" رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية.

وتمثل البنية المعرفية قاسماً أعظم في كل نظريات التعلم المعرفية بدءاً بنظرية الجشطلت وانتهاء بنماذج التعلم المعرفي كتجهيز المعلومات ومعالجة المعلومات، فيرى علماء الجشطلت أن خصائص البناء المعرفي للمتعلم تؤثر تأثيراً بالغاً فى حدوث عملية الاستبصار، ويرى "ليفين" أن التعلم هو تغير في البنية المعرفية للفرد كميا بتراكم الخبرات والمعلومات وكيفيا بالتفاعل المستمر بين مكوناتها . ولمفهوم "البنية المعرفية" دور بارز في ثلاث نظريات للتعلم تمحورت حوله وهى: نظرية الارتقاء المعرفي لـ"چان بياچيه"، ونظرية التعلم بالاكتشاف لـ"چيروم س. برونز"، ونظرية التعلم ذي المعنى لـ"أوزوبل".فهي عند "أوزوبل" تشكل الأساس الذي تبنى عليه جميع مدخلات التعلم، وهى عند "برونر" أولى المبادئ التي تقوم عليها النظرية، وأنها تمثل المعرفة الحاضرة التي تقوم عليها عمليات التدريس وآلياته .

أما "نظرية الارتقاء المعرفي" لجان بياچيه "Piaget, J." **فتقوم هذه النظرية في تصورها للمعرفة والتعلم على افتراضات أساسية من أهمها:**

- الأول: أن الفرد يبنى المعرفة ولا يكتسبها بصورة سلبية من الآخرين، أي أنه يكون نشطاً وفعالاً أثناء عملية التعلم ويبني لنفسه معنى خاص فتكسبه تلك المعلومات معنى ذاتياً.
- الثاني: يظل البناء المعرفي للفرد متزناً مادامت الخبرة الجديدة تتفق مع توقعاته في ضوء خبراته السابقة ويقع في حيرة عند حدوث تناقض بين ما لديه في البنية المعرفية والخبرة الجديدة، مما يدفعه لتعديل البناء المعرفي بحيث يستوعب الخبرة الجديدة .
- الثالث:المعرفة القبلية للمتعلم شرط أساسي للتعلم ذي المعنى، فالخبرة هي المحور الأساسي لمعرفة الفرد
- الرابع: النمو المفاهيمي ينتج من خلال التفاوض الاجتماعي مع الآخرين،

فالفرد لا يعي معرفته عن العالم المحيط من خلال أنشطته الذاتية، ولكن المعرفة يتم بناؤها من خلال التفاوض الاجتماعي مع الآخرين في بيئة تعاونية، فمن خلال مناقشة الفرد لما وصل إليه من معانٍ مع الآخرين تتعدل هذه المعاني لدى الفرد في ضوء ما يسفر عنه التفاوض بينه وبينهم.

وتتكون البنية المعرفية من جانبين: أحدهما المحتوى، والآخر التنظيم. يشمل المحتوى الحقائق والمفاهيم والمبادئ والأفكار والأسماء والمواقف والوظائف والعمليات وغيرها. أما التنظيم فهو ما يشتمل على العلاقات الأساسية والثانوية بين مختلف الحقائق والمفاهيم، كما يجب التفريق بين البنية المعرفية والمحتوى المعرفي فقد يكون هناك فردان أو مجموعة أفراد لديهم محتوى معرفي واحد، وتكون البنية المعرفية لكل منهم مختلفة نتيجة اختلاف ناتج تجهيز ومعالجة العمليات المعرفية لذلك المحتوى، وينشأ عن تفاعل العمليات مع المحتوى مدى واسع للفروق الفردية في التنظيم والترابط والتكامل والتمايز والاتساق[1]. وتكمن أهمية البنية المعرفية للفرد بخصائصها الكمية والكيفية في أنها تؤدي دوراً أساسياً في كفاءة التمثيل المعرفي للمعلومات، حيث إن البناء المعرفي للفرد إذا كان مضطرباً أو مشوشاً لا تحكمه أسس تنظيمية أو تصنيفية فإنه يصعب استيعاب وتمثيل وتسكين الوحدات والمعلومات المستدخلة فتظل منفصلة لا تجد ما ترتبط به فتفقد، ومن ثم تصبح البنية المعرفية ضعيفة، وهذا يؤثر بدوره على الاستيعاب والتمثيل اللاحق فيما بعد، حيث إن الوحدات المعرفية الموجودة بذاكرة المعاني هي التي تقوم بعمليات الاستيعاب والتسكين، أما إذا دخلت المعلومات والوحدات المعرفية على بنية معرفية ثرية من ناحية المحتوى والمستوى فإنها تجد ما ترتبط

(١) فتحي مصطفي الزيات (١٩٩٨م): "الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي". القاهرة، دار النشر للجامعات.

به داخل شبكة ترابطات المعاني بالذاكرة فيصبح الاحتفاظ بها دائما واسترجاعها أيسر، ومن ثم ترتفع كفاءة التمثيل المعرفي للوحدات المستدخلة فيما بعد[1] وتتمايز أبعاد البنية المعرفية كما حددها " فتحي مصطفى الزيات " (١٩٩٦م) فيما يلي:

١- الترابط: ويقصد به عدد العلاقات بين المفاهيم والحقائق والقواعد والقوانين التي تشكل محتوى معرفي ما.

٢- التنظيم: ويقصد به مدى استخدام الفرد لمفاهيم وقضايا عالية الرتبة (أكثر عمومية) أو منخفضة الرتبة.

٣ - التمايز: ويقصد به تمايز فئات المعلومات ذات الطبيعة النوعية داخل البناء المعرفي للفرد.

٤- التكامل: يقصد به التكامل بين محتوى البناء المعرفي للفرد.

٥ - الثبات النسبي: ويقصد به مدى اتساق نواتج البناء المعرفي للفرد عند معالجته لمختلف المواقف.

٦- الكم المعرفي: وهو ما أسماه "أوزبل"الخواص المادية للمعرفة، أي عدد الحقائق والمفاهيم والقواعد والقوانين والمعطيات الإدراكية التي تشكل المحتوى المعرفي المرتبط بمجال معين داخل البناء المعرفي للفرد.

٧ - الكيف المعرفي: أو الطبيعة النوعية للبناء المعرفي، أي الخواص التنظيمية للمحتوى المعرفي عند "أوزبل" ويقصد به الخصائص النوعية والتنظيمية للفرد، حيث يتفاعل الكم المعرفي مع خواص تنظيم هذا الكم لينتج الطبيعة الكيفية أو النوعية للبناء المعرفي للفرد، وتشمل خواص التنظيم

(١) عالية السادات شلبي (٢٠٠١م) "كفاءة التمثيل المعرفي للمعلومات وأثرها على التحصيل الدراسي لدى ذوي صعوبات التعلم من تلاميذ المرحلة الإعدادية". رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة.

كل من الترابط، التكامل، التمايز، الثبات النسبي في البناء المعرفي[1].

وقد عني علماء المسلمين وفقهاؤهم عناية خاصة بتحديد شروط وضوابط يجب توافرها في من له حق النظر والحكم في الفتوى بصفة عامة، قال أبو الصلاح الشهرزوري في "شروط المفتي وصفاته وأحكامه وآدابه": "أما شروطه وصفاته فهو أن يكون مكلفاً مسلماً ثقة مأموناً منزهاً من أسباب الفسق ومسقطات المروءة؛ لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح للاعتماد وإن كان من أهل الاجتهاد، ويكون فقيه النفس سليم الذهن رصين الفكر صحيح التصرف والاستنباط متيقظا. ثم ينقسم وراء هذا إلى قسمين مستقل وغير مستقل، القسم الأول المفتي المستقل: وشرطه أن يكون مع ما ذكرناه قيماً بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما التحق بها على التفصيل، عالماً بما يشترط في الأدلة ووجوه دلالاتها ويكفيه اقتباس الأحكام منها، وذلك يستفاد من علم أصول الفقه، عارفاً من علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلمي النحو واللغة، واختلاف العلماء وإتفاقهم بالقدر الذي يتمكن به من الوفاء بشروط الأدلة والاقتباس منها، ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك، عالماً بالفقه ضابطاً لأمهات مسائله وتفاريعه المفروغ من تمهيدها، فمن جمع هذه الفضائل فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى به فرض الكفاية. وأن يكون مجتهداً مستقلاً، والمجتهد المستقل هو الذي يستقل بإدراك الأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية من غير تقليد وتقيد بمذهب أحد[2]. وبذلك يقدم " الشهرزورى" شروطاً أخلاقية وعلمية وفكرية ونفسية قيمة ينبغي أن تتوافر في المفتى، جعل

(١) فتحي مصطفى الزيات (١٩٩٦م)، مرجع سابق.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو" أدب المفتي والمستفتي" تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر(١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت.

فيها التنزه من خوارم المروءة شرطاً لاعتماد قوله مقدمة على قدرته على الاجتهاد، كما يقدم "محمد عثمان شبير"[1] مجموعة من الملكات والمهارات التي ينبغي أن يتحلى الفقيه بها ويعمل على تقوية جوانبها لديه، وقد قدمها من خلال قراءة متأنية في طبقات المجتهدين ومراتبهم وتتمثل هذه الملكات والمهارات فيما يلي: أولاً: ملكة تقرير القواعد الأصولية والاستنباط الفقهي المستقل. ثانياً: ملكة الاستنباط الفقهي المبني على أصول الغير. ثالثاً: ملكة التخريج الفقهي. رابعاً: ملكة الترجيح في المذهب. خامساً: ملكة استحضار المذهب (القول المعتمد). سادساً: ملكة الترجيح بين المذاهب

إذا نظرنا إلى هذه الشروط والضوابط والملكات نجد أنها تحتاج سنوات عديدة كي يستوفيها طالب العلم وقد لا يتحقق له ذلك طبقاً لاستعداداته، قال الله – عز وجل –: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة:١٢٢، أي: أنَّ الله – عز وجل – جعل التفقه في الدين لطائفة هي التي تقوم به دون غيرها، ولذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله "ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله – ﷺ – أن يقول إلا من جهة علم مضى قبله وجهة العلم بعد الكتاب والسنة والإجماع والآثار وما وضعت من القياس عليها.ولا يقيس إلا من جمع الآلة التي له القياس بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله فرضه وأدبه وناسخه ومنسوخة وعامه وخاصة وإرشاده"[2]، ويقول بن القيم – رحمه الله –: "ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد على العلم

(١) محمد عثمان شبير (١٤٢٠هـ) " تكوين الملكة الفقهية" سلسلة كتاب الأمة "السنة التاسعة عشر، العدد، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

(٢) الإمام الشافعي محمد بن إدريس "الرسالة للإمام المطلبي للشافعي"تحقيق: أحمد محمد شاكر (١٩٩٠م)، القاهرة: دار الكتب العلمية .

بما يبلغ والصدق فيه لم تصح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالما بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضيّ السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف لمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات "[1]. وتوافر هذه الشروط أعظم أصالة في حق الناظر في مسائل أصول الدين كمسائل الكفر والإيمان والتفسيق والتبديع لعدة وجوه : الأول أن الناظر في مسائل الكفر والإيمان يبحث في أصل الإيمان وثبوته من عدمه، والناظر في مسائل الحلال والحرام يبحث في شعب الإيمان وجزئياته وما تصح به وتبطل، فالباب الأول مقدم على الثاني لأهميته وشموله. والثاني: أن الحكم في مسألة التكفير يترتب عليه الكثير من الأحكام العظيمة في الدنيا كاعتقاد ردة المحكوم عليه، وخروجه من الدين بالكلية، ووجوب قتله بالردة، وسقوط ولايته، وتحريم مناكحته وذبيحته، والمنع من موارثته، والصلاة عليه، والدعاء له واعتقاد أنه في الآخرة خالداً مخلداً في النار أبد الآباد، لا ينتفع بدعاء ولا شفاعة، ولا يغفر الله له بسبب من الأسباب، فالقدح في عقائد الناس وقذفهم بالبدعية أشد عند الله من رميهم بالزنى والفواحش كلها؛ لأن البدعة عند الله أغلظ من كبائر الذنوب[2]. والثالث: أن من رمى مسلماً بالكفر فقد باء به أحدهما، فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي – ﷺ – قال: "...ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ". أخرجه البخاري، وثبت في الصحيح أن:"

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)" إعلام الموقعين عن رب العالمين" تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (١٩٧٣م)، بيروت: دار الجيل.

(٢) طارق الحسين (٢٠٠٣م) " هوس البدعة " l7ewar.maktoobblog.com/1620005

من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما"، يقول شارح الطحاويه: " فإن من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت" إن مسألة التكفير من المسائل العظيمة التي أشكلت على الكثير من الناس بل خفي الحق فيها على بعض العلماء بسبب عدم التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين وغير ذلك من دقائق المسألة[1].إذا تقرر ذلك وجب أن يمسك من لا علم عنده بهذا الباب عن الخوض فيه والوقوف عند حدود علمه لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ الإسراء: ٣٦ .

ب- من مظاهر الخلل في البناء المعرفي الكامنة وراء ظاهرة الغلو في التكفير:

أول هذه المظاهر الخطأ في المفهوم، وهو وحدة بناء المعرفة؛ لذا وجب تحرير (المصطلحات)، وتدقيق (العبارات) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله – في "الرسالة التدمرية ": "ما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه؛ حتى يعرف مراده؛ فإن أراد حقا: قبل وإن أراد باطلا: رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل: لم يقبل مطلقا، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ". وقال – رحمة الله – في كتاب "النبوات": "والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارة القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢. والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع. ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده، وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق، وقد يضطرب في معناه. وهذا الأمر

(١) إبراهيم بن عامر الرحيلى (٢٠٠٨م) " التكفير وضوابطه" القاهرة: دار الإمام أحمد ص٣٠٠.

يعرفه من جربه من كلام الناس. فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾آل عمران: ١٠٣ " [١]، فمثلاً يعبر في النصوص الشرعية عن الكفر بعدة ألفاظ كلها تدل على حقيقته في الشرع فيعبر عنه تارة بالشرك، وتارة بالظلم، وتارة بالفسق، كما يجتمع الكفر مع النفاق في اعتقادهما الكفر في الباطن[٢].

ومن اختلالات البنية المعرفية الربط بين التكفير والقتال، وجعل التكفير مسوغاً للقتل وبوابة له يقول شيخ الإسلام بن تيمية – وهو أشد الناس على المبتدعين –: " والخوارج المارقون الذين أمر النبي – ﷺ – بقتالهم، قاتلهم علي ابن أبي طالب، أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين،فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم " ثم يضيف شيخ الإسلام " وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم، فلا يحل لإحدى هذه الطوائف أن تكفر الأخرى أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقيقة ما يختلفون فيه " . ولابد للمفتي أن يتتبع أثر فتواه لدى الناس خشية عدم فهمها، أو تأويلها تأويلاً باطلاً،أو سحب حكمها على

(١) علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري " التبصير بقواعد التكفير" منشورات الدعوة السلفية كتاب رقم www.sahab.net/forums/showthread.php?t=319371ص٦، ٥.

(٢) إبراهيم بن عامر الرحيلي (٢٠٠٨م) " التكفير وضوابطه" القاهرة: دار الإمام أحمد ص ٣٠٦ .

الأبرياء، وقد ضرب العلامة الشيخ الفوزان في ذلك مثالاً ناصعاً حين قال[1]: إجابتي على سؤال من يقول إنه "مسلم ليبرالي" نُزلت على أناس لم أقصدهم.. وأبرأ إلى الله من تكفير الأبرياء، ثم أعاد شرح فتواه بمزيد من التفصيل محدداً مقصده منها .

ومن اختلالات البنية المعرفية – أيضاً – عدم الإلمام بتفاصيل المسائل العقدية، فكثيراً ما يتخذ الخلاف في بعض المسائل العقائدية بين بعض علماء المسلمين وسيلة للتكفير؛ ويؤدى ذلك إلى الخلط في المسائل والجمع بين المتناقضات، حيث تتناقض الآراء يوماً بعد يوم وتتناقض الفرق مع بعضها، وتبدو أصولها متعاكسة تماماً فالتكفير ويقابله الإرجاء ومنه نتجت الخوارج قديماً وحديثاً، والإرجاء ويقابله التكفير؛ ومنه نتجت مرجئة الجهمية ومرجئة

(١) انظر: صالح بن فوزان الفوزان (٢٠٠٧م) "بيان وتوضيح"
http://www.alfawzan.ws/AlFawzan/MyNe...=454&new_id=45
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه وبعد: فقد وردني سؤال هذا نصه مع جوابه:
لسؤال عن الدعوة إلى الفكر الليبرالي في البلاد الإسلامية، وكونه يدعو إلى حرية لا ضابط لها إلا القانون الوضعي، ويساوي بين المسلم وغيره بدعوى التعددية، ويجعل لكل فرد حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة، ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه كالأحكام المتعلقة بالمرأة، أو بالعلاقة مع غير المسلمين، أو بإنكار المنكر، أو أحكام الجهاد – إلى آخر الأحكام التي فيها مناقضة هذه الليبرالية للإسلام، وهل يجوز للمسلم أن يقول: أنا مسلم ليبرالي؟
والجواب: إن المسلم هو المستسلم لله بالتوحيد، المنقاد له بالطاعة البريء من الشرك وأهله، فالذي يريد الحرية التي لا ضابط بها إلا القانون الوضعي هذا متمرد على شرع الله، يريد حكم الجاهلية وحكم الطاغوت فلا يكون مسلما، والذي ينكر ما علم من الدين بالضرورة من الفرق بين المسلم والكافر، ويريد الحرية التي لا تخضع لقيود الشريعة، وينكر الأحكام الشرعية ومنها الأحكام الخاصة بالمرأة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشروعية الجهاد في سبيل الله، هذا قد ارتكب عدة نواقض من نواقض الإسلام التي ذكرها أهل العلم، والذي يقول: (إنه مسلم ليبرالي) متناقض إذا أريد بالليبرالية ما ذكر، فعليه أن يتوب إلى الله ليكون مسلماً حقاً.

الفقهاء ومرجئة الأشاعرة والماتريدية [1].

والتكفير بغير دليل من سمات أهل البدع، كما أن عدم التكفير– إلا بدليل – والاحتياط في ذلك من سمات أهل السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً، ويكفرون من خالفهم فيه". إن منشأ خطأ الفرق المخالفة لأهل السنة في باب الإيمان اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يبعض، ثم اختلفوا في حكمه عند النقص فقال المرجئة إذا ثبت بعضه ثبت كله، وقال الوعيدية إذا زال بعضه زال كله. ومن مظاهر الخلل في البناء المعرفي الكامنة وراء ظاهرة الغلو في التكفير افتقاده للتوازن والاتساق في موضوعاته، وكذلك بين المستويات المعرفية حيث يغلب الجانب التفصيلي على النظرة الكلية أو العكس، وقد يؤدي تشوه التمثيل المعرفي للمجتمع لدى الفرد إلى الوقوع في الغلو في تكفير المجتمعات وأفرادها؛ نتيجة عدم وضوح معنى ومغزى وتفاصيل وفقه الممارسات المعاصرة في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها، فيوقع حكماً على تصور خاطئ مخالف لحقيقة ما يجرى في المجتمع نتيجة صورة ذهنية خاطئة أو ضبابية، ولذلك من الضروري أن يكون لدى الفقيه فهم صحيح دقيق للمعاملات الاقتصادية المصرفية والتجارية وغيرها من القضايا المعاصرة الجارية في المجتمع، كما ينبغي ألاّ يصدر حكماً بتكفير المجتمعات بناء على مجالات تخفى عليه كثيرٌ من معلوماتها؛ نظراً لطبيعتها، كما هو الحال في البنود غير المعلنة للمعاهدات الدولية والمجالات العسكرية، فيصدر حكم التكفير بناء على بيانات منقوصة غير مكتملة، لا توفر رؤية متكاملة، ولا أرضاً صلبة لاتخاذ قرارٍ بالتكفير.

(١) عفاف بنت حسن بن محمد مختار(٢٠٠٠م) " تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السلف:" الرياض: مكتبة الرشاد ص٥٧٩.

ومن الأخطاء الشنيعة لمنهج غلاة التكفير أخذ الأحكام مباشرة من القران والسنة كأنهما لا يحتاجان إلى تفسير، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وهو العزيز الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤، وقوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١، وأيضاً رفض الرجوع إلى أقوال الصحابة، وعدم الإحاطة بتكامل آيات المصحف. وردهم للإجماع، والطعن في الصحابة وردهم لأقوالهم، وأن منهم المنافقين الأعراب، ومن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، والاختلاف بين الصحابة مدعاة لرد أفكارهم. رفض التقليد تماماً، بينما هو مباح للعامي[1]. ومن أسباب الانحراف – أيضاً – الأخذ ببعض الحق وترك بعضه قال تعالى: ﴿ .. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٨٥، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران:١٠٥، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ المائدة:١٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة ٣٩/١ " ولا تقع الفتنة إلا ممن ترك ما أمر الله به، فإنه – سبحانه – أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق وإما من ترك الصبر" . ويقول العلامة ابن الوزير في "إيثار الحق على الخلق" فإن قيل: فمن أين جاء الاختلاف الشديد ؟ فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما، فتأمل ذلك

(١) أحمد محمد أحمد جلي (١٩٨٨م) " دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة" الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ١٣٩–١٤٩.

بإنصاف وشد عليه يديك، وهذان الأمران الباطلان هما الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله – تعالى – ورسله – عليهم السلام – من مهمات الدين الواجبة، والنقص منه بنفي بعض ما ذكره الله – تعالى – ورسله في ذلك بالتأويل الباطل. وتعظيم كلام أعداء الإسلام: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا ﴾ الفرقان٢٧–٢٩ ، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ الأحزاب:٦٦–٦٨.إهمال المقاصد الشرعية "صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ البقرة:١٣٨. ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة:٥٠ . والتلقي من مصادر غير موثوقة يقول ابن تيمية في منهاج السنة "كل مبتدع خالف سنه الرسول ﷺ لا يتبع إلا ديناً مبدلاً أو منسوخاً" [(١)] .وخلاصة الأمر أنه ينبغي احترام التخصص: فالتدين للمسلمين جميعاً ولكن بيان الأحكام والحلال والحرام لأهل الاختصاص به وهم العلماء، أما الحكم بالكفر والردة أو الفسوق والعصيان ضمن المسائل الشرعية التي يجب أن يرجع فيها إلى العلماء المسلمين المتخصصين، ولا يجوز الخوض فيها بغير علم ولا يقين. [(٢)] فالتكفير حكمٌ شرعي من أحكام الدين له أسبابه وضوابطه وشروطه وموانعه وآثاره، شأنه

(١) أبى نصر محمد بن عبد الله الإمام (٢٠٠٧م) " بداية الانحراف ونهايته " صنعاء: دار الآثار.

(٢) محمد عبد الحكيم حامد(٢٠٠٦م) " أئمة التكفير – ظاهرة التكفير في العصر الحاضر – أصولها الفكرية وطرق العلاج " القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع .

في ذلك شأن سائر الأحكام الشرعية[1].

ثانياً: أسباب متعلقة بما يقدح في صحة التفكير كالمغالطات المنطقية واعتراضات القياس: ليست فقط البنية المعرفية هي المسؤولة عن مخرجات العقل البشري وإنما يتوقف ذلك – أيضاً – على جودة العمليات العقلية التي تتم على هذه البنية المعرفية، حيث تحددان معاً مدى سلامة التفكير من عدمه، ومن خصائص التفكير السليم في القرآن: السير وفق منهج محدد، الدعوة إلى النظر العقلي والبحث في الظواهر الكونية، تقدير قيمة العلم والعلماء، والاستعانة بأهل العلم والخبرة للوصول إلى الحقائق، وحرية الفكر وحرية العقيدة وعدم التعصب ونبذ العنصرية، والدعوة للتخلص من الخرافات والأفكار الأسطورية المتوارثة والانفلات من القديم، وتنحية الذات وطرح الهوى، وإقصاء الخبرة الذاتية والالتزام بالموضوعية، والبحث عن الحقيقة الواضحة المتميزة وإبطال الباطل وإحقاق الحق[2].وقد تفوق المنهج العلمي الإسلامي في ذلك على منهج بيكون: إن علماء المسلمين وضعوا تأصيلاً للمنهج العلمي السليم أحسن مما وضعه فرنسيس بيكون بعد ذلك بعدة قرون، وقد أضافوا ملكات أخرى إلى وسائل تحسين المعرفة، فالمعرفة لا تحصل بالعقل وحده، ولا بالحواس وحدها، ولكن هناك ملكات أخرى موجودة في الإنسان، وتساعده في الوصول إلى الحقائق العلمية، وهذه الملكات الإضافية لا يعترف بها المنهج الوضعي، فعلى سبيل المثال لا يعترف المنهج الوضعي بأن تقوى الله تساعده على تحصيل المعرفة، بينما القرآن يؤكد ذلك في قوله

(١) عبد الرحمن بن فؤاد الجار الله " قواعد في التكفير"(٢٠١٠م)
http://www.saaid.net/Doat/aljarallh/15.htm

(٢) كوكب عامر(١٩٩٣م) "أسس التفكير السليم في الكتاب والسنة " القاهرة: مكتبة النهضة العربية.

تعالى: ﴿ ....وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة:٢٨٢، وقد كان الحسن بن الهيثم يقول: " إذا استعصت عليّ مسألة ألجأ إلى الصلاة والاستغفار فيفتح الله عليّ ". وهكذا قامت الحضارة العربية الإسلامية على الجانب الروحي والجانب المادي، بعكس الحضارة الغربية التي قامت على الأساس المادي وحده، ولذلك يتوقع لها علماء الغرب أنفسهم الانهيار القريب؛ لأنها حضارة قائمة – أيضًا – على المنهج النفعي البرجماتي[1].

ولا يمكن الوصول للتفكير الصحيح إذا لم ننتبه للمؤثرات النفسية، التي تجعل التفكير يحيد عن منهج المنطق والعلم والحقيقة، ومن تلك المؤثرات ميلنا الدائم إلى تصديق ما نرغب في أن يكون صحيحاً، وميلنا لتصديق ما يؤاتي مصالحنا وقناعاتنا السابقة، ورفض ما قد يخالفها أو يناقضها، إضافة إلى ميلنا لرفض كل ما قد يناقض فكرة كنا ضحينا لأجلها، وإلى رفض ما ينافي كل ما هو شائع وراسخ ومتعارف عليه. ويجب الانتباه لمحاولات الإيحاء النفسية، ومحاولات مخاطبة الرغبات والعواطف، التي ترافق – عادة – الترويج لبعض الأفكار، في مجال ترويج بعض الأفكار العَقَديَّة حيث يجب أن نتعلم التفريق بين الفكرة التي تقوم على أساس من المنطق والواقع والحقيقة، والفكرة التي تقوم على مخاطبة الرغبات الدفينة ومكنونات اللاشعور والحاجات والرغبات النفسية، وتؤثر فيها وتصوّر لها الباطل حقاً. وهذا يوضح لنا جدوى المعرفة بأصول المنطق، في الاستدلال ومحاكمة صحة المقولة، وفي القياس والاستنتاج والبرهان والتعريف والتصنيف والتقسيم. وكذلك في معرفة مغالطات التفكير، ولاسيما المغالطات التي يكثر الوقوع فيها، كالمغالطات الناتجة عن التضليل الذي قد تحدثه الأرقام والنِّسَبُ عند سوء التعامل معها أو

(١) نانسي أبو الفتوح (٢٠٠٨م) " الريادة والتميّز في المنهج العلمي عند المسلمين".
http://www.shareah.com/index.php?/records/view/action/view/id/1069

سوء فهمها، ومغالطة اعتبار واقعة ما سبباً في حدث أو شيء لمجرد التتالي بين الحدثين، والمغالطات القائمة على الاستنتاج بالقياس إلى عينات قليلة لا تكفي للحكم، وهي مغالطات نقع فيها عادة أكثر مما نظن. إن أخطاء التفكير، وسوء محاكمة الأفكار، وفساد الاستدلال، قادت البشرية عبر التاريخ لكثير من المآسي والموت والدمار والشقاء، ربما على نحو يفوق ما نتصور، فأخطاء التفكير سبب رئيس في التعصّب والتزمّت والانغلاق الذي يقود للإرهاب والحروب. وللتفكير الصحيح منهجٌ يمكن تعلُّمه وتعليمه، ويعد تدريسه في المدارس والجامعات والدورات التدريبية ضرورة، كما أن الجانب الأهم في أي دراسة أو محاضرة أو كتاب أو مقالة هو ما قد يُعلِّمنا إياه من أساليب التفكير السليم[1]، ومن أهم مبادئ التفكير الناضج والمتزن والتي يُقاس عليها تفكيرنا، وهي مأخوذة من فروض د. ألبرت إيللس "Albert Ellis" عن نظريته في "العلاج العقلي الانفعالي"[2]:

١- الفكر والمعتقد يكون الشعور والاتجاه (الموقف)، وبالتالي السلوك (التصرفات).
٢- العملية اللفظية والعبارات الذاتية (حديث الذات) تؤثر على المشاعر والسلوك.
٣- الوعي والفهم (الاستبصار Insight) وملاحظة الإنسان لتفكيره، تؤثر على السلوك.
٤- التصور والتخيل، والتوقع تؤثر في المشاعر والسلوك، سواء للأفضل أم للأسوأ.

(١) فاضل تركي (٢٠٠٥م) " تسع حقائق عن التفكير الصحيح.
"http://majdah.maktoob.com/vb/majdah98834

(٢) مشير سمير " معايير النضج النفسي (٦) التفكير الصحيح والسليم" الحوار المتمدن"، العدد: ٢٧٨٩ – ٢٠٠٩/١٠/٤م المحور: الفلسفة ،علم النفس ، وعلم الاجتماع
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=186769

٥- الفكر يؤثر على العائد البيولوجي (Bio-feed back) ويتحكم في العمليات الفسيولوجية؛ مما يولد الأمراض النفسية الجسمية نتيجة للتفكير الاكتئابي والتفكير القلق.

٦-إن كماً كبيراً من الاضطراب النفسي ينشأ لدى الإنسان من الغزو الخاطئ لمشاعره وسلوكه لعوامل خارجية "الناس – الأحداث"

٧- الناس يملكون اختيار التغير فمن خلال وجهة الضبط(Locus of control) يختار الإنسان أفكاره وبالتالي مشاعره، أي أنه يختار الاضطراب النفسي أو التخلص منه.

٨- الاعتقاد الفردي في أن القواعد لا تسري علىَّ (وإن كانت تسري على الآخرين) .

٩- الإنسان لديه ميل فطري ومكتسب لتقييم الذات (وليس الأداء)، ومقارنة الذات بالآخرين، بطريقة غير منطقية مما يقلل مستوى تقدير الذات (low self-esteem).

١٠- الناس يستسلمون سريعاً ويذهبون إلي إرضاء وإبهاج وتهنين الذات الفوري (Self Gratification) ولا يستطيعوا تأجيل إشباع رغباتهم.

١١- طريقة استقبال الإهانة والإحساس بها يتسببان في تغيير السلوك: (كيف يفعل هذا بي؟!) فالحساسية المفرطة تجعلنا نجني اضطرابا نفسياً أكثر مما تسببه إساءة الآخرين الفعلية لنا.

١٢- تحول الانتباه (الاهتمام) أمر ذو قيمة علاجية للإنسان؛ لأنَّ الإنسان يميل إلى أن يضع تركيزه على شيء واحد في الوقت الواحد، فهنا يأتي دور تحويل الانتباه أو التركيز، فبدلاً من التركيز على التفكير التكفيري ينبغي التركيز على مجالاتٍ المجتمع في أمس الحاجة إلى اجتهاد العلماء فيها. ومن الموضوعات التي تسهم في ضبط التفكير وضمان صحته ما

يسمى بالمغالطات المنطقية أو الجدلية التي تدرس في الجامعات؛ لكي يتمكن المرء من معرفة ما يمكن أن يخطئ في فهمه خلال استماعه للخطابات الإعلامية والدينية وخلال قراءاته للكتب والمقالات واتصالاته بالآخرين.ومعرفة المرء بها تساعده في اتخاذ قرارات أفضل وتحسين قدراته في التفكير. إن كشف المغالطات المنطقية أهم من التفصيل في نظريات ودقائق منطقية، ونحن اليوم في أمس الحاجة للانتباه إلى الكثير من هذه الخدع[1].تعرف المغالطات المنطقية بأنها تراكيب جمل نستخدمها ونعتقد بأنها صحيحة، ولكنها مع التمحيص والتحليل الدقيق يتبين أنها خاطئة. وقد يقع فيها الكتاب حتى الماهرون منهم بقصد أو بغير قصد. ويوجد الكثير من المغالطات المنطقية يقوم الناس باستخدامها كأدلة في كتاباتهم، وبدون شعور يحسبون أنها أدلة واقعية، ولكنها ليست كذلك ومنها ما يلي: التهجم على الشخص (Ad Hominem) وفي هذه المغالطة يقوم الكاتب بالهجوم على الشخص، بدلا من الهجوم على فكرته، وهي من أكثر المغالطات المنطقية انتشاراً. ومغالطة الاحتكام بانتشار الفكرة (Bandwagon Fallacy) وفي هذه المغالطة يقوم الكاتب بإقناع القارئ بصحة فكرته عن طريق إعطاء إحصائيات أو أدلة تشير إلى أن فكرته منتشرة و مقبولة من قبل الكثير من الناس، و قد تنطلي هذه الخدعة على القراء البسطاء أو الذين ليس لهم معرفة كبيرة بموضوع المقال، ولكنْ بقليل من التأمل نكتشف أن هناك أفكاراً خاطئة لاقت رواجاً وقبولاً واسعاً بين الناس، ومع ذلك فهي أفكار خاطئة بحكم العقل والمنطق. ومغالطة الجهل (Fallacist's Fallacy) وتتم في

(١) فاضل تركي (٢٠٠٥م) "كشف مغالطات المنطق"http://www.doroob.com/?p=227

حالات عدم إمكانية إثبات صحة شيء ما بشكل كافٍ، فيستنتج أنه خاطئ. أو في حالات عدم معرفة حقيقة ما فيتم إنكارها.أما مغالطة التركيب (Composition Fallacy) فتقع في حالات أن بعض الأجزاء تحمل مميزات معينة ويقوم الكاتب باستنتاج أن الكل يحمل نفس تلك المميزات ويسمى هذا أحياناً بـ"الاستقراء الناقص"؛ أما مغالطة التقسيم (Fallacy of Division فهي عكس المغالطة السابقة وفيها يقوم الكاتب باستخدام مقدمة فيها أن الجميع يملك سمة أو خاصية معينة للاستدلال على أن جميع الأجزاء تملك تلك السمة أو المميزة بما يخالف الواقع . وفى مغالطة الاعتماد على احتماليات سابقة لا دخل لها (Gambler's Fallacy) يعتمد الكاتب على احتمالات حدثت بالصدفة في الماضي لاستنتاج أن الحدث المُقبل سيكون مشابها لنتائج تلك الاحتمالات، في حين أن نتائج تلك الاحتمالات ليست مرتبطة ببعضها البعض ولكنها تشابهت بالصدفة. ومغالطة الحكم على الفكرة بحسب المصدر (Genetic Fallacy) وفيها يقوم الكاتب بالحكم على فكرة معينة بحسب جودة المصدر أو سوئه بالنسبة للكاتب. ومغالطة الاستغاثة(Appeals) التي يستخدمها بعض الكتاب لاستمالة مشاعر أو عقائد القراء إلى تأييد فكرة الكاتب حتى لو كانت خاطئة. بالإضافة إلى مغالطات الانحراف عن النقطة الأساسية (Red Herring)، والتعاقب الزمني (Post Hoc)، ومغالطات الإلهاء والتعمية، ومنها: مغالطة الإيقاع في الخطأ، مغالطة الإهمال، مغالطة الإزلاق، مغالطة السؤال المعقد[1].

وقد تناولت كتب الفقه مبحثاً هاماً عن اعتراضات القياس، وقد أطنب

(١) انظر: فاضل تركي (٢٠٠٥م) "عشر مغالطات منطقية" المرجع السابق.

بعض الأصوليين في ذكر هذه الاعتراضات واختصرها البعض وأعرض عن ذكرها البعض الآخر[1] . فقد أفرد الشاشي بحثاً كاملاً للأسئلة المتوجهة على القياس في كتابه في الأصول، كما تناولها الطيب البصري أبو الحسين في كتابه "المعتمد في أصول الفقه"، وأبو إسحاق الشيرازي في "المعونة في الجدل"، أما أبو المعالي الجوينى إمام الحرمين فقد قسم اعتراضات صحة القياس في "البرهان" قسمين: الأول يشتمل على ما يصح عند المحققين ولا احتفال بما يشذ من خلاف منقول لا اكتراث به، والثاني يحتوي على ما يفسد الاعتراض عند المحققين كما تناولها أيضاً السرخسي في أصوله، والغزالي في "المستصفى"، وابن العربي في "المحصول في أصول الفقه" . ومن متأخرى الأصوليين أورد الآمدى خمسة وعشرين اعتراضاً على القياس في كتابه "الإحكام" وذكر "البزدوى" منها نوعين هما: القلب، ويقابله العكس، ولكل منهما نوعان، كما ذكر السبكى في "الإبهاج" أن أقواها وأجدرها بالاعتناء هو الفرق. ومن متأخري المتأخرين فصل "الشوكاني" ثمانية وعشرين اعتراضا على صحة القياس، كما تناولها "الصنعانى" في "إجابة الصانع شرح بغية الأمل" و"الشنقيطي" بعنوان "الفوادح" في كتابه مذكرة في أصول الفقه[2] .

ثالثاً: أسباب متعلقة بالانفعال والعاطفة كالتعصب والغلو وما يؤثر على اتخاذ القرار:

يذكر اتيل (٢٠٠٧م) "Itiel E. Dror"[3] أن تصور المخاطر وقرار استخدام القوة يعتمد بشكل كبير على العمليات المعرفية التي تحكم عملية صنع القرار، فالنظم المعرفية والآليات المشاركة في صنع القرار هي – أيضا – ذات

(١) محمد سليمان داوود (١٩٨٤م) "نظرية القياس الأصولي – منهج تجريبي إسلامي" الإسكندرية: دار الدعوة، ص ١٩٩.

(٢) بكر محمد سعيد " اعتراضات صحة القياس" بحث غير منشور.

(٣) Itiel E. Dror "(2007) Perception of Risk and the Decision to Use Force" Oxford University Press

صلة لاتخاذ القرارات الختامية للغاية.والتكفير ظاهرة نزاعية وبالتالي فهو عملية تتضمن تأثراً بالعاطفة والانفعال بدرجة كبيرة. كما تتأثر بمفهوم الضغط أو(الإجهاد)، ويعرف الضغط بأنه "أي تغير داخلي أو خارجي يطرأ على حياة الإنسان، ويؤدي إلى استجابة انفعالية حادة ومستمرة "، إن الأحداث الخارجية بما فيها ظروف العمل أو السفر أو السجن والصراعات العائلية وتوتر العلاقات الاجتماعية..الخ . والتغيرات الداخلية كالإصابة بالأمراض نفسية أو بدنية، أو الاضطرابات الهرمونية، أو الإدمان والنشاط الذهني الزائد والإجهاد العقلي واختلال النظام الغذائي والعادات السيئة.. الخ جميعها تمثل ضغوطاً تؤثر على اتخاذ المرء لقرار ما. ولابد من القول بأنَّ ردود فعل الإنسان على هذه الضغوط تختلف من شخص لآخر، وهذه المقدرة على التكيف مع ظروف الحياة والضغوطات اليومية يطلق عليها " طاقة التكيف "، وهي مرتبطة بنمط الشخصية وبنموذج الجملة العصبية المركزية(وهي: قشر الدماغ (Cortex Stimulants ،منبهات البصلة السيسائية (Medulla Stimulants ، النخاع الشوكي (spinal cord) ".وتتجلى علامات وأعراض تزايد الضغط والإجهاد في: اضطراب النوم – اضطراب الهضم والتنفس – خفقان القلب – التوجس والقلق على أشياء لا تستدعي ذلك – الاكتئاب – التوتر العضلي والشد – الغضب لأتفه الأسباب – التفسير الخاطئ لتصرفات الآخرين[1] . ويعد التكفير – وخاصة تكفير المعين – عملية اتخاذ قرار تتسم بالطبيعة النزاعية، إذ إنه قرار يصدر في حق شخص يعتقد المكفر أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه، وانتقل إلى خانة الأعداء؛ ويترتب على ذلك عواقب وخيمة، أقلها استحلال دم من صدر القرار في حقه؛ لذا تكون عملية اتخاذ القرار التكفيري – إذا لم

(١) أنور الصادي " الصحة النفسية في بناء شخصية المسلم"
http://www.elssafa.com/vb/archive/index.php/t–428.html

تصدر من نفس كبيرة تكون – مشحونة بمشاعر العداوة والتعصب، ومصيدة لوقوع صاحبها في الغلو ولا يعصمه من ذلك سوى أن يتحلى بمشاعر التجرد والإخلاص، وحيادية المشاعر والعواطف والثبات الانفعالي، ويزخر تاريخ الإسلام بعلامات مضيئة من النفوس الكبيرة التي تعد نبراساً لكل من أراد أن يهتدي بسماحة الإسلام، ورحمة علمائه بأهله حتى من اتهمهم العامة بالكفر، ومن أمثلتها: موقف الإمام أحمد من الخلفاء الذين كانوا يقولون بخلق القرآن[1]: وكان على هذا ثلاثة من الخلفاء العباسيين، هم المأمون والمعتصم والواثق متأثرين بمذهب المعتزلة، رأى الإمام أحمد أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق؛ فتعرض لمحنة الجلد والسجن حتى كاد يموتُ، ومع ذلك لم يكفرهم رغم إجماع أئمة السنة على كفر من قال بخلق القرآن وإنما لم يكفرهم لتأولهم، ولأنهم لبس عليهم أهل البدع فلم يتبين لهم الحق، بل إن الإمام أحمد حللهم مما فعلوه به ودعا لهم وقال: " كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدع وقد جعلت أبا إسحاق – يعنى المعتصم – في حل ورأيت الله يقول: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور:٢٢. وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح، قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سبيلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم فإنَّ الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع .

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مخالفيه[2]: يقول – رحمه الله – في مجموع الفتاوى:" هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك عني أني من أعظم

(١) إبراهيم بن عامر الرحيلي (٢٠٠٨م) " التكفير وضوابطه" القاهرة: دار الإمام أحمد.
(٢) المرجع السابق ص٢٩٧.

الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطاها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية " ويقول رحمه الله في الرد على البكري: " ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله – تعالى – فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له".

موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مخالفيه[1]: سار على طريقة سلفه من الأئمة في التفريق بين الحكم المطلق والحكم على المعين، يقول – رحمه الله –: " وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهم؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم " . فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والخلاصة أنه لا يكفر من لم تقم عليه الحجة من المعينين وإن قام بهم الكفر المطلق.

منهج العلامة الشنقيطي – رحمه الله – في التعامل مع المخالف[2]: قال – رحمه الله –: " ونحن نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد؛ لأنهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقه، وإنما يحاولون تنزيهه عن مشابهة خلقه فقصدهم حسن ولكن طريقتهم إلى هذا القصد سيئة، وإنما نشأ لهم ذلك

(١) المرجع السابق ص٢٩٤.

(٢) سراج الدين اليماني (٢٠٠٥م) "منهج الأئمة في التعامل مع المخالف" الإسكندرية: دار الإيمان. ص١٨٢.

السوء بسبب أنهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدل ظاهرها على مشابهة صفة الخلق، فنفوا الصفة التي لا تليق قصداً منهم لتنزيه الله وأولوها بمعنى آخر يقتضى التنزيه في ظنهم، فهم كما قال الشافعي – رحمه الله تعال –:

رام نفعاً من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى: ﴿ دْعُوهُمْ لابَائِهِمْ هُو أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الأحزاب:٥".

هذه هي الصورة المشرقة لمنهج الكبار في التعامل مع القضايا الكبرى،وهو منهج النبوة، فقد صح عنه – ﷺ –أن الله كان قد أعلمه بنفاق المنافقين المتظاهرين بالإسلام بين أصحابه، ومع ذلك كان يأبى إلا أن يعاملهم معاملة المسلمين، ويأخذهم بظاهر أحوالهم. وقد طلب منه عمر بن الخطاب أن يأذن له بقتل عبد الله بن أبي بن سلول فلم يأذن له. وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول يستأذن رسول الله – ﷺ – في قتل أبيه، لما بدر منه من مظاهر النفاق في غزوة المريسيع، فأبى – ﷺ – وقال له: بل نترفق به ونحين صحبته، هذا كله في حق من أعلمه الله بطوياتهم ودخائل نفوسهم، فكيف بمن لا سبيل لنا إلى اختراق قلوبهم ومعرفة ما استكن فيها مما قد يخالف ظاهرهم ؟ وقد أطال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – في كتابه الأم، في بيان هذا الواجب الذي ألزم الله به عباده أن يتعاملوا فيما بينهم على أساسه في الحياة الدنيا. وإليك خلاصة ما قاله في ذلك: (.. إن الله فرض على خلقه طاعة نبيه، ولم يجعل لهم بعد من الأمر شيئاً. وأولى أن لا يتعاطوا حكماً على غيب أحد، لا بدلالة ولا ظن، لتقصير علمهم عن علم أنبيائهم الذين فرض الله تعالى

عليهم الوقف عما ورد عليهم، حتى يأتيهم أمره. فإنه – جل وعز –، ظاهر عليهم الحجج فيما جعل إليهم من الحكم في الدنيا، بأن لا يحكموا إلا بما ظهر من المحكوم عليه، وأن لا يجاوزوا أحسن ظاهره، ففرض الله على نبيه أن يقاتل أهل الأوثان، حتى يسلموا، وأن يحقن دماءهم إذا أظهروا الإسلام، ثم بين الله ثم رسوله أنه لا يعلم سرائرهم في صدقهم بالإسلام إلا الله ... أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، أن رجلاً سار النبي ﷺ، فلم ندر ما ساره، حتى جهر رسول الله ﷺ، فإذا هو يشاوره في قتل رجل من المنافقين. فقال رسول الله – ﷺ –: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال بلى، ولا شهادة له. فقال أليس يصلي؟ قال بلى ولا صلاة له. فقال رسول الله – ﷺ –: أولئك الذين نهاني الله تعالى عنهم..)، ثم قال: (وبذلك مضت أحكام رسول الله – ﷺ – فيما بين العباد من الحدود وجميع الحقوق، وأعلمهم أن جميع أحكامه على ما يظهرون، وأن الله يدين بالسرائر.. فمن حكم على الناس بخلاف ما ظهر عليهم، استدلالاً على أن ما أظهروا، يحتمل غير ما أظهروا، بدلالة منهم أو غير دلالة، لم يسلم عندي من مخالفة التنزيل والسنة)[1].إذا كانت هذه هي الصورة المشرقة الواضحة الجلية فلماذا يحيد البعض عن السواء؟ لدرجة أن لمن قتلهم أجراً يوم القيامة، فقد أورد البخاري حديث علي بن أبى طالب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما وجدتموهم فاقتلوهم، فان في قتلهم لمن قتلهم أجرا يوم القيامة ". وفيما يلي نعرض لمنهج غلاة المكفرين

(١) محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠٠٣م) " هكذا فلندع إلى الإسلام "سوريا: دار الفكر.

وخصائصهم النفسية: ورد في أضواء البيان من الإعلام "هذا منهج الأئمة الكبار أما الغلاة والرافضة لمنهج السلف، فإن منهجهم " هلك الناس" وهذا المنهج ما هو إلا منهج خارجي حرورى وعيدي الذي ينتهجه بعض الطغامة وإن تدثر بدثار الغيرة على الحق والانتصار له، وما بالقوم غيرة على الحق، وإنما الجهل العريض الذي يبدو لهم علماً واسعاً، وإنما هو الكبر والتيه وبطر الحق و غمط الناس منازلهم:

أضاع الفريضة والسنة فتاه على الإنس والجنة
كأن لنا النار من دونه وأفـــــرده الله بالجنة[1]

وقد نشأ منهج غلاة التكفير من الخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة ومن على شاكلتهم من المعاصرين نشأة خاصة تختلف عن نشأة وتطور منهج أهل السنة والجماعة الذي تأسس على الاعتدالية والوسطية والحيادية وتحقيق مقاصد الشريعة التي تحمي مصالح الناس، أما منهج الغلاة فقد نشأ وتبلور عبر مراحل مختلفة نذكر منها على سبيل المثال مراحل تطور الفكر الاعتزالي والتي تمثلت في المرحلة التنظيمية النضالية لتهيئة الكوادر والدعاة عبر جهات وأقاليم العالم الإسلامي، المرحلة التكاملية المذهبية والقراءة الفلسفية، المرحلة السياسية بالبزوغ في بعض الأقاليم طبقاً لطبيعتها وحدوث الصدام مع المؤسسات الرسمية، مرحلة الصراع والتراجع نتيجة تجمع الحركات المعادية، مرحلة التعبئة الفكرية للحاكم بتصنيف كتاب يفند مزاعم الفئة الضالة والحمل عليهم[2].

(١) سراج الدين اليماني (٢٠٠٥م) " منهج الأئمة في التعامل مع المخالف " مرجع سابق.
(٢) عبد الستار الراوي (١٩٨٠م) " العقل والحرية – دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي" بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

وللغلاة مراحل وأطوار في تجنيد الناس لأفكارهم الضالة، يقول الشاطبي: " وللغلاة منهج وحيل في استدلال الناس ليميزوا من يطمع في استدراجه ممن لا يطمع عليه، ولهم في الدعوة مراتب، هي: الذوق: وهو تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة ؟ أم لا، وبذلك منعوا إلقاء البذر في السبخة والتكلم في بيت فيه سراج، ثم التأنيس: استمالة كل أحد بما يميل إليه من زهد أو خلاعة، والتشكيك في أركان الشريعة، ثم الربط: أي أخذ الميثاق منه كسب اعتقاده إن لا يفشى لهم سراً و حوالته على الإيمان في حل ما أشكل عليه، ثم التدليس: دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا حتى يزداد ميلهم، ثم التأسيس: تمهيد مقدمات يقبلها المدعو، ثم الخلع: الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية، ثم اللسخه عن الاعتقادات وحينئذ يأخذون في استعمال اللذات وتأويل الشرائع. ويذكر السامرائي أن مهمة الغلاة مهمة شاقة وعسيرة تتطلب جملة من الأمور، منها مبادئ خاصة ووسائل محكمة للمحافظة على طريقة المعادلة المتناقضة التي هي عليها، وهي العمل على هدم المجتمع والإسلام والمحافظة على البقاء في نطاقه[1]. وربما وقع في شرك الغلو في التكفير شباب حديثوا عهد بالالتزام وقعوا ضحية ردة الفعل، فمن الشباب من أصابته الفضائيات الترفيهية بالغثيان فانصرف عنها باحثاً عن قيم أخرى يتشبث بها فكان أن تحول ١٨٠ درجةً ليجد نفسه أسير منظري الفكر الظلاميّ الذي يكفر كل من خالفه الرأي، فينظر إلى المجتمع على أنه كافر، ويجب مجاهدته، وقتل أفراده، وتدمير موارده بعد أن غرست المؤسسات الإعلامية قيمها ومفاهيمها وأفكارها ونظرياتها في عقول المتلقين وصولاً إلى أهداف

(١) عبد الله سلام السامرائي (١٩٧٢م) " الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية" بغداد: دار الحرية للطباعة ص ١٧١–١٧٢.

مبرمجة سلفاً[1]، ويسهل تحقيق هذه الأهداف هشاشة الإعداد العلمي والتربوي لهؤلاء الشباب بسبب آثار الاستعمار والتغريب الذي أسس التعليم في كثير من الدول الإسلامية وفق النظام الغربي في مناهجه ووسائله وغاياته، ولم تسلم العلوم الإسلامية والعربية من المسخ والتشويه، فتاريخ الأمة الإسلامية وآدابها وتراثها الفكري يدرس من وجهة نظر الغرب وحسب مقاييسه فحرم الناس من تعلم أمور دينهم، كما كان من آثار ذلك أن تلجأ طوائف المجتمع إلى من يجدون فيهم الغيرة على دينهم وإظهار الاستقامة عليه ولو صاحب ذلك قلة في العلم وضعف في البصيرة وجهل بمقاصد الشريعة، أو يكون لديهم شطحات فكريه ونظرات غالية فبرزت بسبب ذلك تيارات الغلو والتكفير المهدة للعنف والإرهاب[2]؛ مما أفقد مخرجات النظم التعليمية القدرة على النقد وقوة الشخصية تجاه المغالطات الفكرية والإيحاءات التي يعظم خطرها على الشباب، حيث يذكر الدكتور"ماكسويل مولتز" في كتابه psycho cybernetics" كيف أن الإيحاء والاعتقاد الكاذب أهرم شاباً ٢٠ سنة، وبعد زواله استعاد شبابه بنفس السرعة عندما قبل الحقيقة الصادقة[3].وتؤثر المساندة الاجتماعية على اتخاذ القرار فالمساندة الاجتماعية التي يحصل عليها الفرد من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية، والجماعات التي ينتمي إليها

(١) عبد المقصود بن محمد سعيد خوجه " التعامل مع الإرهاب والعنف والتطرف " بحث مقدم إلى مؤتمر "موقف الإسلام من الإرهاب مؤتمر عالمي يعالج قضايا الإرهاب والعنف والغلو" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١-٣ ربيع الأول١٤٢٥هـ، ص٢٠.

(٢) عبد الله بن محمد العمرو" أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية: رؤية ثقافية بحث مقدم إلى مؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب مؤتمر عالمي يعالج قضايا الإرهاب والعنف والغلو" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١-٣ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، ص٢١- ٢٢.

(٣) أحمد توفيق (٢٠٠٦م) " الإيحاء العقلي" عمان: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع. ص٢٣.

تؤدي دورًا هامًا في اتخاذ القرار[1]. وقد قام نيريا وآخرون (Y. Neria et. Al. 2005)[2] بدراسة بنائية للاستشهاد الديني، ما يعنينا منه ما أظهرته من نماذج ذات مفاهيم اجتماعية نفسية تفسر ما أطلقوا عليه "الهجمات الانتحارية الإرهابية"، مع التركيز ليس فقط على الفرد، وإنما على الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ويتأثر بها . وترويض الذات من خلال بناء علاقة مع الذات كعنصر خارجي بهدف ترويضه وطاعته والعناية بالمظهر والإعدادات، وتجاهل المسمى الانتحاري للهجوم، وبدلاً منه تشويه التبعات الأخلاقية إعادة تأطير متطرف لمعنى الموت.من خلال الممارسات السابقة لجماعات الفكر التكفيري المتطرف يصبح الضحية مؤهلاً لتقبل منهجٍ قد ارتكز على التعصب والعداوة والغلو.

وهناك فرق بين العصبية للدين والتعصب، حيث يرى ابن خلدون علاقة تآزر وتكامل وتعاضد بين العصبية والدين، فالدين يزيد من قوة العصبية بالتخفيف من مظاهر التعصب كالأنانية، والاعتداد بالأنساب، وروح القطيع وذلك بتوجيه أهل العصبية كلهم إلى الله، أي إلى العمل الصالح: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[3] تلك هي العصبيات الراشدة التي تأسست على التقوى، أما العصبيات القائمة على الغلو فلا يعنيها أن تجيب؛ لأنها عصبيات لا تعرف منطق الحق المعتاد، إنها حماس يشتعل، وليست حقاً يضيء، وهي في نظر الدين حماقة كبرى، والاعتراف بها هدم للأركان

(١) بندر بن محمد حسن الزيادي العتيبي" اتخاذ القرار وعلاقته بكل من فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية لدى عينه من المرشدين الطلابيين بمحافظة الطائف" رسالة دكتوراه: كلية التربية جامعة أم القرى.

(٢) Neria Y. , David Roe, Benjamin Beit–Hallahmi ,Hassan Mneimneh , Alana Balaban , Randall Marshaall " The AL Qaeda 9/11 instructions: study in the construction of religious martyrdom " Religion 35(2005)1–11

(٣) محمد عابد الجابري (١٩٧١م) " العصبية والدولة – معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي":الدار البيضاء: دار الثقافة ص٢٨٨.

الأولى من الرسالات التي أنزل الله هداية للعالمين، إن رجال دولة الإسلام كانوا يبصرون الناس على ضياء الإيمان، كما نبصر نحن الأشخاص والأشياء على ضوء الشمس، إن " شاس بن قيس" اليهودي لما وقع بين الأوس والخزرج حين رأى توافق بينهم ذكرهم بيوم بعاث رغبة في أن يمكر بأهل الإسلام، وبذلك لم يجد أسرع في نقض غزلهم من إثارة العصبيات القديمة بينهم والحق أن تعصب اليهود ضد الدين لم يكن شراً عليه من استجابة أتباعه لوساوس العصبيات البائدة والنظر فيما أصاب المسلمين بعد من متاعب يدل على أن العصبيات التي قسمت وحدتهم في الداخل كانت أنكى بهم من تعصب أعدائهم ضدهم[1].وقد وصل الأمر في تعصب المبالغين في حب آل البيت إلى تأليه بعض الشيعة كالإمامية والرافضة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وادعائهم فيه من الخوارق والمعجزات ما يكون لله عز وجل أو الأنبياء والرسل، بل وصل الأمر إلى قتل اثنين من العلماء الذين أنكروا هذه المبالغة، وهما ابن هذيل مقرئ عصره، وابن البردون الإمام المفتي[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "وصار كثير من أهل البدع كالخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثلة يعتقدون اعتقاداً هو ضلال، يرونه هو الحق، ويرون كفر من خالفهم في ذلك". بل وصل الأمر إلى تكفير العلماء القائمين بأمر الدين علماً وعملاً وفتوى وحسبةً ونصحاً وتوجيهاً لأئمة المسلمين وعامتهم، بل بلغت الفتنة بهؤلاء إلى تكفير سائر المجتمعات الإسلامية المعاصرة من غير استثناء لفرد من أفراد الأمة، وأنه لم يبق في الناس

(١) محمد الغزالي (١٩٨٩م) " التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية" القاهرة: دار النشر والتوزيع الإسلامية . ص١٣– ص١٧.

(٢) خالد بن عبد الرحمن بن رشيد القريشى (٢٠٠٨م) " الإرهاب الفكري: مفهومه، بعض صوره سبل الوقاية منه" الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية: سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب ص ٩٧.

اليوم دين ولا إيمان"[1].أما التربية الإسلامية القرآنية والنبوية فمن شأنها أن تزيل كل الحواجز التي تقف بين المسلم وقبول الحق فإنَّ قبول الحق – متى بان – خير من التمادي في الباطل، ولا غضاضة ولا منقصة عليه في ذلك"[2] فذلك عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس يقول: ما يسرني أن أصحاب محمد – ﷺ –لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة. وقد جاء إسحاق بن بهلول الأنباري – تلميذ الإمام أحمد –بكتاب للإمام أحمد وقال: جمعت فيه الخلاف، وسميته كتاب الاختلاف، فقال: لا تسمه كتاب الاختلاف، سمه كتاب السعة. إن هذه العقلية المتفتحة على الاختلاف، أبعد ما تكون عن الأحادية أو الضيق أو القطع بما لديها مما هو محل احتمال، وليس من باب القطعيات، ومثل هذا هو الذي يسع الناس، ولا يفتنهم في دينهم، أو يضيق عليهم في دنياهم[3]. فهوى النفوس إذا سيطر على أصحابها وقوى عندهم يصرفهم عن الحق ويقودهم إلى الباطل، وأضلهم وأعماهم، ففي حمأة الهوى والكبر ينصرف الناس عن الحق ويتبعون الباطل، لكنهم في هدوء التفكير وروية العقل والنظر في الأدلة نظر فهم يسطع نوره وتشرق في عقولهم براهينه[4].إن الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة حيث تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية،

(١) إبراهيم بن عامر الرحيلي (٢٠٠٨م) " التكفير وضوابطه" القاهرة: دار الإمام أحمد، ص١٠.

(٢) يوسف بن عبد الله الشبيلي" فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب " بحث مقدم إلى مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد بجامعة الإمام محمد بن الإسلامية بالرياض الفترة من ٢–١٤٢٥/٣/٣هـ.

(٣) سلمان بن فهد العودة (٢٠١٠م) " الثابت والمتغير عند الأئمة الأربعة "
www.okaz.com.sa/new/Issues/.../Con20100710360741.htm

(٤) خليل محمد خليل (٢٠٠١م) " النفس كما تحدث عنها القرآن " الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية :سلسلة من ينابيع الثقافة، ص٩٩.

وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصل شرعاً والتي تؤدى إلى الاصطدام مع المخالفين بلا حكمة، وفي الوقت نفسه تقصر في أعظم الواجبات والغايات الكبرى في الدعوة من غرس العقيدة السليمة، والفقه في دين الله – تعالى–، والحرص على الجماعة وتحقيق الأمن، والتجرد من الهوى والعصبية، والتحذير من الخلاف فإنه شر، كما أنها تقصر في بيان فقه التعامل مع المخالفين[1]. فالعواطف والمشاعر لا تعالج بها مثل هذه القضايا الكبيرة وإنما يجب الرجوع فيها إلى التأصيل الشرعي القائم على القوة العلمية، المستند إلى موازنة المصالح والمفاسد، ومن لم يراع هذا الجانب وقع في الفتنة أو سقط في باب من أبوابها[2]؛كل ذلك رغبة وشغف بالخروج على الجماعة، غير عابئين ولا مكترثين بأوامر الله ونواهيه، ولا مدركين لما ينطوي عليه عملهم من الشرور والأضرار الخاصة والعامة[3].

والغلو صفة أصيلة في منهج غلاة التكفير تلقى بظلالها على أسلوب تفكيرهم، والغلو في الشرع غلو كلى اعتقادي، وغلو جزئي عملي والمراد بالغلو الكلي الاعتقادي: الغلو المتعلق بكليات الشريعة وبمسائل الاعتقاد مثل: الغلو في الولاء والبراء، كالغلو في الأئمة وادعاء العصمة لهم، أو البراءة من المجتمع العاصي. ومثل الغلو في التكفير كالتكفير بالمعصية وهو أشد خطراً من الجزئي. أما الغلو العملي الجزئي فهو ما كان متعلقاً بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة العملية سواء كان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح، وذلك

(١) بدر بن ناصر البدر (٢٠٠٩م) " التحذير من الغلو في ضوء القرآن الكريم " الرياض: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة أبحاث قرآنية ميسرة (٦)ص١٤٥–١٤٦.

(٢) سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل (٢٠٠٩م) " التنبيهات السنية في بيان ما يسمى بالأعمال والعمليات الجهادية " الرياض: مطبعة الحميضي، ص١٨.

(٣) سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل(٢٠٠٧م) "مفهوم الجماعة والإمامة، ووجوب لزومهما وحرمة الخروج عليهما في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح " الرياض: مطبعة الحميضى .

مثل قيام الليل كله، وإذا كان الغلو الجزئي العملي مرتبطا بعقيدة فاسدة انتقل من كونه غلواً كلياً اعتقادياً مثل من يعتزل مساجد المسلمين؛ لأنه يراها مساجد ضرار، فهذا غال غلوا كلياً اعتقادياً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعهم "[1].

ومن جوانب الغلو في التكفير في حياة المسلمين المعاصرة: التكفير بالمعصية، تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق، تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله بإطلاق، تكفير الخارج عن الجماعة، تكفير المقيم غير المهاجر، تكفير المعين دون اعتبار للضوابط الشرعية، تكفير من لم يكفر الكافر بزعمهم، بدعة التوقف والتبين، القول بجاهلية المجتمعات المسلمة المعاصرة، الغلو فيما يتعلق بالحكم على الدار. قال مالك بن دينار – رحمه الله تعالى –: " كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين "[2] ويقول العلامة ابن قيم الجوزيه – رحمه الله– في كلام جميل عن الإنصاف وعدم المبالغة: " فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقول الحق، وقال آخر:

نظروا بعين عداوة لو أنها عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

فإذا كان هذا في نظر العين الذي يدرك المحسوسات فما الظن بنظر

(١) عبد الرحمن بن معلا اللويحق (١٤٢٠هـ) " مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر– الأسباب– الآثار – العلاج " لبنان مؤسسة الرسالة . ص ٢٥–٢٤.

(٢) عبد الرحمن بن معلا اللويحق (٢٠٠٢م) " الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة– دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف الأصولية " لبنان مؤسسة الرسالة، ص ٢٦٤.

القلب الذي يدرك المعاني التي هي عرضة للمكابرة والله المستعان على معرفة الحق وقبوله ورد الباطل وعدم الاغترار به؟[1] .وأما ما جاء في آية السجدة فهي صريحة في أن أصحابها هم المكذبون بالبعث المنكرون للنار والفسق كما يطلق على المعاصي يطلق على الكفر، وأن المعاصي قد تطلق على الكفر وكذلك السيئات، وسياق الآيات هو الذي يبين المراد من الآية، ولكن الخوارج في القديم – ومن يسلك مسلكهم إلى يوم القيامة – لا ينظرون لذلك؛ لان الزيغ الذي في قلوبهم يدعوهم للاحتجاج بالمتشابه[2] . وهناك عوامل كثيرة تؤثر في اتخاذ القرار منها: المساعدون والمستشارون الذين يستعين بهم متخذ القرار، وأسلوبهم في التفكير، وطريقة عرضهم للمشكلة فمن الممكن أن يؤثروا في توجيه قراراته، المرؤوسون وغيرهم ممن يمسهم القرار وخاصةً في القرارات التي يتطلب تنفيذها قدراً من التعاون والالتزام، وهذا ما يمثل عنصر الضغط على مفتي الجماعة، الضغوط الداخلية التي يتعرض لها متخذ القرار من قبيل ضغوط الرؤساء، بالإضافة إلى العواطف الشخصية لمتخذ القرار، حيث إن هناك بعض الأفراد متخذي القرارات يكون لديهم مواقف عاطفية تجاه بعض الأشياء، وقد تدفعهم هذه المواقف العاطفية إلى رفض أي شيء آخر لتغيير قراراتهم أو تغيير موقِفهم حتى ولو كان خطأً، وغالباً فَهُم في مثل هذه المواقف يكون رَدُّهم: " لقد قررت بصفة نهائية "، وهُم عادةً في مثل هذه المواقف يتخذون قرارات سريعة بناء علي عواطفهم، وقد يتمسكون بالقرار العاطفي ولا يرغبون في تغييره، ويُضخِمون مفاهيم معينة مرتبطة بمواقفهم

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) (ب:ت) "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة " بيروت: دار الكتب العلمية .

(٢) على بن محمد بن ناصر الفقيهى (١٤٢٩هـ) " الوسطية ونبذ الغلو" الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص٣٠ .

العاطفية، ويحولِون الحقائق إلى أمزجة، وينظرون فقط إلى المنفعة الفورية، ويأخذون – فقط – المعلومات التي تُؤيد موقفهم العاطفي، ولكن القرارات التي تُبنى على هذا الأساس عادةً ما يكون لها آثار ضارة، وأحياناً مُدمِرة[1]. وليس صحيحاً أن كل إنسان يملك التمييز والقدرة على الاختيار الصحيح، فقد كان هناك مفكرون كبار كان عاقبة أمرهم الكفر والإلحاد، وآخرون انحازوا إلى بدعة غليظة كالاعتزال وغيرها، فما بالك لومكن أهل البدعة وأهل الفكر الخاطئ من التلبيس على العامة باسم حرية الفكر والتعبير؟[2] ويمكن بلورة رأي أولي وصياغة توجه علمي يشير إلى أن من أهم صفات أصحاب الرأي في المجتمع الصفة الدينية، والثقة والقبول الاجتماعي، والتعرض المستمر لوسائل[3] والتعصب أوله تدين خاطئ، ووسطه حماس وقلة وعي، وخاتمته جريمة وقتل وسفك دماء. فالتعصب مرض يضرب العقل، ونبع الجريمة هو اختلال نفسي من فساد في التصور. وعندما يعجز المنطق والحكمة يسود التعصب والهرج. وعندما قتل ابن آدم الأول أخاه كان بسبب الحسد وقلة العقل. والتعصب لفكرة معناه عدم مراجعتها. وعدم المراجعة يعني موت الفكرة؛ لأن مزايا الحياة التكاثر والحركة مثل النبات والحيوان. والجماد لا يتكاثر ولا يتحرك. ولو تركت صخرة أبد الدهر لم تتحرك، بل حركها المتحرك حولها من ريح أو ماء. ولم يكن أشد حماساً من الخوارج لفكرتهم ولا أشد وطأة على المسلمين منهم وسفكاً للدماء مثلهم. ونجا البعض من سيوفهم حينما قال لهم: أنا مشرك فأجيروني، قالوا: قد

(١) http://www.elssafa.com/vb/archive/index.php/t–428.html

(٢) سلمان بن فهد العودة مجلة الإصلاح العدد ٢٥٧ ربيع الثاني ١٤١٤هـ، ص٤٣.

(٣) محمد بن سعود البشر (١٤٣٠هـ) " حرية الرأي في الإسلام والنظم الحديثة الرياض: جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

نجوت تحت قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ التوبه: ٦[1]. وهذه من أهم المشكلات التي تنبثق عن الضغط النفسي لدى من لم يضبط نفسه بقواعد العلم وأحكام الكتاب والسنة. فليتق الله أولئك الذين يجازفون في إقامتهم أنفسهم مقام الله – عز وجل – بتكفير كل من لم يحكم بما أنزل الله، دون رجوع إلى ضوابط ذلك من أدلة العلم وقواعده، وليتهموا أنفسهم بالانسياق وراء غيظ لا يحكمه منهج الإسلام وضوابطه، ولا يقصد به وجه الله وحده . فالإسلام دين الوسطية في العبادات والطاعات وفي الأحكام والتصرفات، ويدعونا إلى الاتزان في الأقوال والأفعال النظرات والتصرفات وجميع الأحوال[2].

رابعاً: أسباب متعلقة بعدم السواء النفسي وباضطراب الشخصية:

ليس من المنطقي ولا من قبيل الموضوعية والحيادية أن تيتم كل غلاة التفكير بالمرض النفسي، فالتشخيص الدقيق هو أساس العلاج الناجع، قد يعاني بعض الغلاة من الأمراض النفسية، بل ومن أخطر أمراض القلوب إلا أن الأغلب والأعم منهم يعاني من سوء الإعداد العلمي، واختلال البنية المعرفية، واعتلال التفكير وسوء اتخاذ القرار، وعدم السواء النفسي كما سبق ذكره.فالمرض النفسي خاصة في الحالات الشديدة يدركه الناس خاصة القريبون من المريض ممن يقلل من مصداقيتهم وعدم الاقتناع بآرائهم، وكذلك في حالات الاضطرابات النفسية: أما الخطورة فتبدو في حالات ما دون المرض النفسي وعدم السواء النفسي حيث تخفى الأعراض ويصعب اكتشافها.

(١) خالص جلبي (٢٠٠٤م)" التعصب أوله تدين خاطئ ونهايته دماء"صحيفة الوطن السعودية– ٢٠٠٤/٠٣/٢١م .

(٢) سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل(٢٠٠٧م) "مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام– دراسة شرعية علمية تطبيقية على المملكة العربية السعودية ص٦١.

ويتفق علماء النفس، والطب النفسي على أن الشخص الطبيعي، السوي نفسياً، وعقلياً هو الشخص الذي تتمثل في شخصيته الخصائص التالية[1]:

١- من الناحية المعرفية: القدرة على الحكم والاختيار، أي بلوغ الحكمة المتمثلة في تحقيق التوازن بين مصالح الشخص ومصالح الآخر وفقا للمعايير الثقافية.

٢- من الناحية الانفعالية العاطفية: أن يكون لدى الشخص القدر القليل من الانفعالات السلبية، وأن يكون قادرا على التفاعل الاجتماعي المستمر والمستقر، وحب الذات والآخر.

٣- من الناحية السلوكية: القدرة على البت في الأمور واتخاذ القرار، وأن يكون لديه طاقة ورغبة في العمل، وأن لا ينتقل من عمل لآخر دون مبرر، وأن يبني علاقات اجتماعية دافئة، ويبني حياة زوجية مستقرة، وان يتفهم حاجات الآخرين.

٤- من الناحية العضوية الجسدية: خلو الشخص من الأمراض النفسية التي لا ترجع لأسباب عضوية المنشأ وكذلك الأمراض الجسدية (بصفة خاصة إذا سببت عقداً نفسية تعوق تكيفه وسواء نفسه، فكم من فاقد للبصر أنارت بصيرته دياجير ظلام أحد الرجال بصراً) . وقد بين الله – تعالى – للبشرية في القرآن الكريم الحياة النفسية في سلم رأسي تصاعدي، يتكون من ثلاث حلقات في قمته الصفاء الروحي، وفي أوسطه ممارسة النقد الذاتي، وفي أسلفه الغرق في مستنقع المرض الاجتماعي، الثقافي، والنفسي. ففي أسفل السلم تتموضع النفس الأمارة بالسوء. وصعودا نحو العُلى في اتجاه النفس اللوامة، النفس القادرة على ممارسة النقد الذاتي،

(١) محمود عقلان (٢٠٠٩م) " قراءة في طبيعة السلوك السوي والسلوك المرضي"
http://www.alnafsy.net/ar/index.php?p=main&id=410

وتقبل نقد الآخر ونصحه. ثم صعودا روحيا إلى النفس المطمئنة الراضية المرضية، وهذا الصعود نحو العُلى يتطلب طاقة كبيرة، ومجاهده للنفس، وكداً، وتعباً، وصبراً .

أما أمراض واضطرابات الشخصية غير السوية فتصنف وفقاً للتصنيف الدولي للاضطرابات النفسية "International Classification of Diseases" الصادر من منظمة الصحة العلمية(WHO)،أو طبقاً للدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية: "Diagnostic and statistical manual of mental disorder" (DSM) [1] الذي أصدرته الجمعية الأمريكية للطب النفسي (APA). ويعتمد هذا التصنيف على استخدام خمسه محاور متعددة لتساعد في التصنيف ووضع خطه العلاج والتنبؤ بمآل المرض ومن أهم محاوره: العصاب (الاضطرابات النفسية) Neuroses: هو اضطراب وظيفي في الشخصية دون وجود أساس عضوي إطلاقاً، ويتسم بأعراض محدده تتجمع في زملات كالقلق والوساوس والمخاوف والهستيريا دون أن يعوق قيام الفرد بمسؤولياته وأعماله وتكيفه مع محيطه الخارجي وبدون تفكك في شخصيته، ولكنه يرتبط بمشاعر ذاتيه من الضيق والتوتر،ومن أمثله بعض الاضطرابات العصابية: القلق العصابي (Neurosis Anxiety) الرهاب (الخوف المرضي) (Phobia)والخوف الاجتماعي (Social Anxiety Disorder) (Social Phobia)، الوسواس القهري Obsessive Compulsive Disorder (OCD)،الهستيريا :Hysteria، اضطراب ما بعد الصدمة (Post Traumatic Stress Disorder)، أما الذهان(الاضطرابات العقلية) (Psychoses) فهو

(١) جمعية الطب النفسي الأمريكية (٢٠٠٤م)" مرجع سريع إلى المعايير التشخيصية من الدليل التشخيصي والإحصائي المعدّل للأمراض العقلية" ترجمة تيسير حسون.
http://hayatnafs.com/forspecialists/page1.htm

اصطلاح يدل على اضطرابات متنوعة وعميقة وخلل في تفكير الشخص ووجدانه وانفعالاته يغير من نظرته وإدراكه للعالم ويؤثر في سلوكه وإنتاجه بصورة خطيرة ، والذهان يشمل عدداً من الاضطرابات النفسية التي تتفكك فيها محددات الشخصية ومكوناتها بحيث يعجز (الأنا) على أن يقوم بوظيفته في تنظيم وحده العالم القائم حول الشخص وعلاقته بالواقع، وتسمى حالات الذهان بالاضطرابات العقلية تمييزاً لها عن الأعصبة التي تعرف بالاضطرابات النفسية، ومن أنواع الذهان: ذهان عضوي (Organic Psychoses)، ذهان وظيفي(Functional psychoses) مثل الفصام، الهذيانات ، البارنويا ، الذهان الانفعالي الوجدياني (هوس واكتئاب)، الفصام (Schizophrenia)، البارنويا (جنون العظمة) (Paranoid Disorder)ومنطق بعض الشخصيات التي غلب عليها الطغيان على مدار الزمن، أولئك المهووسون بجنون العظمة ممن يملكون القدرة والإمكانية المادية الجاهزة،ومن نماذج هذا الجنون فرعون ونيرون وجومبير وسيرا وأدولف هتلر ومناحم بيجين وشارون وجميعهم يتعاملون مع النتائج قبل التعامل مع الأسباب، ولذلك قدموا لساحة الإرهاب مفهوم: " اقتل ثم جادل " (Kill then discuss)"[1] ، ومن الاضطرابات الذهانية الانفعالية اضطراب أحادي القطب (حيث ينتاب المريض إما هوس أو اكتئاب)، واضطراب ثنائي القطب (Bipolar Disorder)، والاكتئاب (Depression) وهو اضطراب انفعالي يتميز صاحبه بالحزن، والسوداوية، والخمول، وفقدان النشاط، وقلة الحركة، والشعور بالوحدة، والميل للعزلة، والشعور بالذنب، وفقدان الشهية للطعام، واضطراب النوم . أنواع الاكتئاب (بسيط – حاد –

(١) علي بن إبراهيم بن حمد النملة (٢٠٠٨م) " فكر التصدي للإرهاب مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار" الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية: سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب ص٣٥.

هائج) وفي دراسة لريتشارد وآخرين تناول فيها علاقة الاكتئاب بالتحكم العقلي وعودة ظهور الأفكار السلبية غير المرغوب فيها ، يذكر أن نتائج البحوث أظهرت أنه بالمقارنة بالشخص غير المكتئب فإن الأشخاص المكتئبين يستدعون معلومات سلبية أكثر (Blaney,1986) لها أهمية بالغة للمخرجات السلبية (Sweeney, Anderson,& Blaney, 1986) ويقومون أنفسهم بشكل سلبي (Ruehlman, west, & pasahow, 1985). وعلى افتراض أن الأفكار السلبية غير مرغوبة تماماً ، تقترح هذه النتائج أن المكتئبين يكونون – نسبياً – غير فعالين في التحكم في مثل هذه الأفكار .وهناك أكثر من تفسير لهذا الشذوذ الواضح، منها أن هؤلاء الأفراد المكتئبين أقل تحكماً من غيرهم في عملياتهم العقلية ، ويتناسق ذلك تماماً بصفة عامة مع العلاقة الارتباطية الموجبة الواضحة بين الإصابة بالاكتئاب واضطرابات الوسواس القهري (e.g.,Gittleson,1966 Rachman&Hodgson,1980 turner, Beidal, & Nathan 1985), وربما يعارض هذا التفسير بأنه ليس كل المكتئبين يعانون من الوسواس القهري ، ويفسر ذلك بأن هناك اضطراب نوعي خاص بعدم تحكم المكتئبين في الأفكار السلبية ويقترح هذا العامل من تحليلات التفكير الترابطي في الاكتئاب .كما يفسر ذلك بالطبيعة الآلية للأفكار السلبية في الاكتئاب فعلى سبيل المثال أثبتت تجربة (Gotlib & McCann 1981) أن المواد ذات الطبيعة الاكتئابية تتأثر استجاباتها الاختفائية عن الكلمات الحرة من المحتوى الاكتئابي. كما أثبت (Wenzlaff (1988) من خلال تجربة قام بها أن تجهيز المعلومات الخاص بالمحتوى الاكتئابي يحدث أسرع منه للمحتوى غير الاكتئابي، كما توصل ريتشارد وآخرون بالجملة – أن المكتئبين يخفقون في محاولتهم لنزع الأفكار السلبية؛ لأنهم لا يجدون سوى القليل من الأفكار

الإيجابية لإبرازها[١]، وقد أثبتت كثير من البحوث بوضوح أن أطفال الأمهات المكتئبات يمتلكون معدلات متصاعدة للإصابة بالاكتئاب، وهناك آليات عديدة لهذا التأثير ومنه المدخل المعرفي في شكل رؤى سلبية للذات والعالم والمستقبل، وهي الأبعاد المعرفية التي تتوسط اكتئاب الأم واكتئاب الطفل[٢].

أما اضطرابات الشخصية (Personality Disorder) فتسبب اضطراب توافق الفرد مع نفسه أو مع الآخرين مع شعوره بالمعاناة وعدم السعادة، ونظرا لتشابه اضطراب الشخصية مع العديد من الاضطرابات النفسية فقد لا يرى الفرد أنه يعاني من مشكلة مع خصائص شخصيته، وبالتالي قد تسبب اضطرابات الشخصية المعاناة للمحيطين بالفرد وزملائه وأطفاله وزوجته أكثر مما تسببه للفرد نفسه، وتحتوي اضطرابات الشخصية على عشره أنواع مقسمة إلى ٣ مجموعات هي: المجموعة الأولى (Cluster A) وتشمل: الشخصية الاضطهادية (البارنودية)–الشخصية الفصامية – الشخصية الشيزودية. المجموعة الثانية (Cluster B) وتشمل: الشخصية السيكوباتيه –الشخصية الحدية – الشخصية الهستيرية – الشخصية النرجسية. المجموعة الثالثة (Cluster C) وتشمل: الشخصية التجنبية – الشخصية الوسواسين القهرية– الشخصية الاعتمادية– اضطراب شخصية غير محدد .

ويقدم " طارق بن علي الحبيب" (٢٠١٠م) احتمالات سلوك التطرف والغلو – ومنه الغلو في التكفير– لكل اضطراب من اضطراب الشخصية. فالشخصية

(١) Richard M. Wenzlaff, Daniel M. Wagner , David W. Roper" Depression and Mental Control: The Resurgence Of Unwanted Negative Thoughts " Journal of Personality and Social Psychology:1988,Vol,55NO. 6,882–892

(٢) Deborah Ann Wendland, B.A. " Depression in Youth: Exploring The Relationship Among Maternal Depression Symptomatology Perceived Critical Maternal Messages and The Cognitive Triad "Presented to the Faculty of the Graduate School of The University of Texas at Austin in partial fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy , the University of Austin , 2004

الانفصامية ليس من المتوقع أن تسلك مثل سلوك التطرف والغلو، لكن نظرًا لانعدام تواصلها مع الآخرين بحد كاف يسمح لها بمراجعة ما تحمله من أفكار ربما تقع في شيء من الغلو، خصوصًا إذا توافر المناخ الاجتماعي الملائم، أما الشخصية شبه الفصامية فقد تتطرف لكن الاضطراب الواضح في جوانب حياتها الأخرى يجعل من حولها يدرك أنها مضطربة اللهم إلا حينما ينقص الوعي والإدراك فيمن حولها أو يكون شذوذها الفكري في فكرة أصلها صحيح، والشخصية الشكاكة (المرتابة) ربما سلكت التطرف؛ بسبب الشك المتغلغل فيها، ويزداد الشك فيها كلما ازداد عدم الوضوح في الظروف الاجتماعية أو الأنظمة السياسية التي يحياها، والشخصية الحدية عُرضة للتطرف بل هي في ذاتها التطرف، إلا أنها متقلبة ولذلك لا تستمر عادة في تطرفها بل تنقلب في الاتجاه المضاد عند أي تغير انفعالي دون الحاجة إلى إقناع فكري، أما الشخصية النرجسية فقد تتطرف ليس لاقتناعها بفكرة التطرف وإنما لما قد تحصل عليه من أثر دنيوي من ممارسة تلك الفكرة، وما أسرع ما تتخلى عنها لو وجدت مصالحها الشخصية في فكرة أخرى بغض النظر عن صواب تلك الفكرة منُ خطئها (إنه التمركز حول مصلحة الذات لا حول الفكرة). من هذه الشخصية عادة يكون قادة التطرف أكثر من الأتباع. والشخصية الهستيرية قد تتطرف لكن نظرًا لعدم نضوجها وسطحية عقليتها وقصر مدى التحمل لديها، فإن تطرفها يستمر متى استمر محط انتباه الآخرين، أما حين ينقص اهتمام غيره به فإن فكره يتبدل بحثًا عن ما يشبع حاجته إلى أن يكون محط اهتمام غيره، ولذا فإن نسبة التطرف فيها نادرة، والشخصية السيكوباتية (الإجرامية) (المضادة للمجتمع) قد تتطرف إذا كان سلوك التطرف سيشبع حاجتها الإجرامية من سرقة أو نهب أو قتل. ويتشكل التطرف عندها بحسب درجة الذكاء لدى ذلك الفرد؛ إلا أن ما يميز

هذا الفرد عن الفرد الذي طرأ عليه التطرف، أن السيكوباتي مضطرب السلوك منذ صغره وليس فقط فكرًا طارئًا والشخصية الوسواسية كسابقاتها ربما تطرفت بسبب الإفراط في دقائق الأمور أكثر من النظر إلى الكليات وبسبب الحرفية في التفكير أكثر من النظر التأملي، والشخصية الاعتمادية ربما سلكت التطرف إذا كان من حولها متطرفين؛ نظرًا: لنقص الثقة وعدم القدرة على الاستقلال بالرأي . والشخصية التجنبية لا تسلك التطرف عادة؛ لأنها لا تستطيع الانضباط والالتزام، لكنها إن سلكت التطرف فلنفس الأسباب لدى الشخصية الاعتمادية، والشخصية الاكتئابية ربما مارست التطرف بسبب نظرتها التشاؤمية وعدم وجود معنى للحياة، والشخصية السلبية العدوانية ربما تطرفت إذا كان هناك عائد شخصي وتعدي على الغير نتاجًا لذلك التطرف والشخصية السادية ربما تتطرف إن كان السلوك التطرفي يشبع حاجتها في أذية الآخرين جسديًا أو معنويًا، والشخصية المازوخية ربما تطرفت إن تم إشباع رغبة التعدي عليها وإيذاء الذات من قبل من حولها من مجموعة التطرف[1].

وهكذا تتعدد الأسباب النفسية المؤدية للعنف والإرهاب والتطرف، ومنها الدوافع التدميرية النفسية المتأصلة، ضعف الأنا العليا (النفس اللوامة أو العقل والضمير) وسيطرة الذات الدنيا"الهوى" أو النفس الأمارة بالسوء، على الشخصية الإنسانية، تضخم الأنا العليا بسبب الشعور المتواصل بوخز الضمير، الإحباط في تحقيق بعض الأهداف أو الرغبات أو الوصول إلى المكانة المنشودة، هذاءات العظمة، هذاءات الاضطهاد، الشخصيات المتبلدة أو

(١) طارق بن على الحبيب (٢٠١٠م) " الجانب النفسي في دراسة ظاهرة الغلو في المجتمع السعودي" http://acofps.com/vb/showthread.php?t=3841

الفصامية[1].ونفسيَّة غلاة التكفير لا تقبل الوسطيَّة والتَّجزيء، فإمَّا معها أو ضدَّها، غلْظة في الطبع، الإجْمال وكره التفصيل، الشدَّة على المخالف حالَ الإنكار عليه، مع تعْظيم الذات والانتِصار لها، الثِّقة الزَّائدة عن حدِّها في كلِّ ما يَراه تجعله يقاطع الناس على كلِّ رأي مخالف، العناد، فهي نفسيَّة جلدة على حمْل الفِكْرة، حتَّى لو وقف النَّاس كلُّهم في طريقه، ولو راجع فيها أعلم القوم، وسردت أدلَّة الوحي كلّها على خطئِه، ما زاده من المخالف إلاَّ نفورًا، كثرة الجدل والخصومة، التعصُّب لآرائهم، فلا يسلِّمون لخصومهم بحجَّة مهْما تكن قريبة من الحق[2].لكن القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء.

(١) أسماء بنت عبد العزيز الحسين (٢٠٠٩م) "الأسباب النفسية للإرهاب والعنف والتطرف"
www.assakina.com/book/book19/3530.htm

(٢) بليل عبد الكريم (٢٠١٠م) " نفسية الخوارج "
http://www.assakina.com/center/4725.html

خاتمة وتوصيات

مما سبق يمكن أن نلخص الأسباب النفسية لظاهرة الغلو في التكفير في أربع مجموعات من الأسباب هي:

أولاً: أسباب متعلقة بخصائص البنية المعرفية لدى غلاة التكفير: يبدو أول مظاهر الخلل في البناء المعرفي لدى غلاة التكفير في الخطأ في المفهوم وهو وحدة بناء المعرفة، لذا وجب تحرير (المصطلحات)، وتدقيق (العبارات) .كما يبدو – أيضاً – قصور الكم المعرفي: أي عدد الحقائق والمفاهيم والقواعد والقوانين والمعطيات الإدراكية التي تشكل المحتوى المعرفي المرتبط بمجال معين داخل البناء المعرفي للفرد.و قصور الكيف المعرفي: أو الطبيعة النوعية للبناء المعرفي أي الخواص التنظيمية للمحتوى المعرفي ومنه عدم الإلمام بتفاصيل المسائل العقدية ،وافتقاده للتوازن والاتساق في موضوعاته وكذلك بين المستويات المعرفية حيث يغلب الجانب التفصيلي على النظرة الكلية أو العكس . ومن اختلالات البنية المعرفية افتقاد كل من:الترابط ويقصد به عدد العلاقات بين المفاهيم والحقائق والقواعد والقوانين التي تشكل محتوى معرفي ما. والتنظيم: ويقصد به مدى استخدام الفرد لمفاهيم وقضايا عالية الرتبة (أكثر عمومية) أو منخفضة الرتبة. والتمايز: ويقصد به تمايز فئات المعلومات ذات الطبيعة النوعية داخل البناء المعرفي للفرد. التكامل: يقصد به التكامل بين محتوى البناء المعرفي للفرد. الثبات النسبي: ويقصد به مدى اتساق نواتج البناء المعرفي للفرد عند معالجته لمختلف المواقف.وينبغي ترميم أو إعادة هندسة البناء المعرفي للغلاة بما يضمن سلامة ما يصدر عنه من أفكار وقرارات تكفيرية.

ثانياً: أسباب متعلقة بما يقدح في صحة التفكير كالمغالطات المنطقية

واعتراضات القياس:

في مجال ترويج بعض الأفكار العَقَديَّة يجب أن نتعلم التفريق بين الفكرة التي تقوم على أساس من المنطق والواقع والحقيقة، والفكرة التي تقوم على مخاطبة الرغبات الدفينة ومكنونات اللاشعور والحاجات والرغبات النفسية، وتؤثر فيها وتصوّر لها الباطل حقاً. ولا يعتبر اتخاذ القرار التكفيري دالة أو نتيجة فقط لواقع البناء المعرفي لصاحب القرار، ولكنه يعتمد – أيضاً – على جودة التفكير وصحته وسلامته من المغالطات المنطقية واعتراضات القياس، وهذا يوضح لنا جدوى المعرفة بأصول المنطق، في الاستدلال ومحاكمة صحة المقولة وصحة القياس، ومن أهم المغالطات المنطقية التي قد تؤثر في سلامة التفكير واتخاذ القرار مغالطة التهجم على الشخص (Ad Hominem)، ومغالطة الاحتكام بانتشار الفكرة(Bandwagon Fallacy) ومغالطة الجهل (Fallacist's Fallacy)، ومغالطة التركيب (Composition Fallacy)، ومغالطة التقسيم (Fallacy of Division)، ومغالطة الاعتماد على احتماليات سابقة لا دخل لها (Gambler's Fallacy)، ومغالطة الحكم على الفكرة بحسب المصدر (Genetic Fallacy)، ومغالطة الاستغاثة (Appeals)، الإضافة إلى مغالطات الانحراف عن النقطة الأساسية (Red Herring)، والتعاقب الزمني Post Hoc)، ومغالطات الإلهاء والتعمية، ومنها: مغالطة الإيقاع في الخطأ، مغالطة الإهمال، مغالطة الازلاق، مغالطة السؤال المعقد. كما تناولت كتب الفقه مبحثاً هاماً عن اعتراضات القياس، وقد أطنب بعض الأصوليين في ذكر هذه الاعتراضات واختصرها البعض وأعرض عن ذكرها البعض الآخر . فقد أفرد الشاشي بحثاً كاملاً للأسئلة المتوجهة على القياس في كتابه في الأصول، كما تناولها "الطيب البصري أبو الحسين" في كتابه "المعتمد في أصول الفقه"، و"أبو إسحاق الشيرازي" في "المعونة في الجدل"، أما "أبو المعالي

الجويني" إمام الحرمين فقد قسم اعتراضات صحة القياس في "البرهان" قسمين: الأول يشتمل على ما يصح عند المحققين ولا احتفال بما يشذ من خلاف منقول لا اكتراث به، والثاني يحتوي على ما يفسد الاعتراض عند المحققين، كما تناولها أيضاً "السرخسي" في أصوله، و"الغزالي" في "المستصفي" و"ابن العربي" في "المحصول في أصول الفقه" . ومن متأخرى الأصوليين أورد "الآمدي" خمسة وعشرين اعتراضاً على القياس في كتابه "الإحكام"، وذكر "البزدوى" منها نوعين: هما القلب، ويقابله العكس، ولكل منهما نوعان، كما ذكر "السبكى" في "الإبهاج" أن أقواها وأجدرها بالاعتناء هو الفرق. ومن متأخري المتأخرين فصل "الشوكانى" ثمانية وعشرين اعتراضا على صحة القياس كما تناولها "الصنعاني" في "إجابة الصانع شرح بغية الأمل" و"الشنقيطي" بعنوان "القوادح" في كتابه مذكرة في أصول الفقه. لذا وجب تصحيح وضبط آلة التفكير لدى غلاة التكفير في ضوء معايير سلامة منطق التفكير، وموازيينه الفقهية والمنطقية.

ثالثاً: أسباب متعلقة بالانفعال والعاطفة كالتعصب والغلو وما يؤثر على اتخاذ القرار:

التكفير وخاصة تكفير المعين عملية اتخاذ قرار تتسم بالطبيعة النزاعية، إذ أنه قرار يصدر في حق شخص يعتقد المكفر أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه، وانتقل إلى خانة الأعداء، ويترتب على ذلك عواقب وخيمة أقلها استحلال دم من صدر القرار في حقه؛ لذا تكون عملية اتخاذ القرار التكفيري إذا لم تصدر من نفس كبيرة– تكون – مشحونة بمشاعر العداوة والتعصب ومصيدة لوقوع صاحبها في الغلو . ولا يعصمه من ذلك سوى أن يتحلى بمشاعر التجرد والإخلاص وحيادية المشاعر والعواطف والثبات الانفعالي. كما تتأثر بمفهوم الضغط أو(الإجهاد) وهو "أي تغير داخلي أو خارجي يطرأ على حياة الإنسان ويؤدي إلى استجابة انفعالية حادة ومستمرة "،

إن الأحداث الخارجية بما فيها ظروف العمل أو السفر أو السجن والصراعات العائلية وتوتر العلاقات الاجتماعية..الخ، والتغيرات الداخلية كالإصابة بالأمراض نفسية أو بدنية أو الاضطرابات الهرمونية أو الإدمان والنشاط الذهني الزائد والإجهاد العقلي واختلال النظام الغذائي والعادات السيئة.. الخ جميعها تمثل ضغوطاً تؤثر على اتخاذ المرء لقرار ما. ولابد من القول بأنَّ ردود فعل الإنسان على هذه الضغوط تختلف من شخص لآخر، وهذه المقدرة على التكيف مع ظروف الحياة والضغوطات اليومية يطلق عليها " طاقة التكيف " وهي مرتبطة بنمط الشخصية وبنموذج الجملة العصبية المركزية (وهى: قشر الدماغ (Cortex Stimulants)، منبهات البصلة السيسائية Medulla Stimulants، النخاع الشوكي (spinal cord) ". لذا وجب دراسة الضغوط الداخلية والخارجية لدى غلاة التكفير التي يمكن أن تلجئهم إلى اتخاذ القرارات التكفيرية وإزالتها.

رابعاً: أسباب متعلقة بعدم السواء النفسي وباضطراب الشخصية:

ليس من المنطقي ولا من قبيل الموضوعية والحيادية أن تيم كل غلاة التفكير بالمرض النفسي، فالتشخيص الدقيق هو أساس العلاج الناجع، قد يعانى بعض الغلاة من الأمراض النفسية، بل ومن أخطر أمراض القلوب إلا أن الأغلب والأعم منهم يعاني من سوء الإعداد العلمي واختلال البنية المعرفية واعتلال التفكير وسوء اتخاذ القرار كما سبق الإشارة إليه.

فالمرض النفسي خاصة في الحالات الشديدة يدركه الناس خاصة القريبين من المريض ممن يقلل من مصداقيتهم وعدم الاقتناع بآرائهم وكذلك في حالات الاضطرابات النفسية لكنه في بعض الأحايين قد يتعرض هؤلاء المرضى للتغرير ممن ينتمون إليهم لإصدار فتوى ليس بمقدور قادتهم القيام بإصدارها؛ لأنهم ربما لا يقتنعون بها لكنهم في حاجة إلى إصدارها.

أما الخطورة فتبدو في حالات ما دون المرض النفسي وعدم السواء النفسي حيث تخفى الأعراض ويصعب اكتشافها لدى العامة . وتتعدد الأسباب النفسية المؤدية لظاهرة الغلو في التكفير، ومنها الدوافع التدميرية النفسية المتأصلة (التي تبدو متجلية في الشخصية المضادة للمجتمع)، وضعف الأنا العليا (النفس اللوامة أو العقل والضمير) وسيطرة الذات الدنيا"الهوى" أو النفس الأمارة بالسوء على الشخصية الإنسانية، وتضخم الأنا العليا بسبب الشعور المتواصل بوخز الضمير، والإحباط في تحقيق بعض الأهداف أو الرغبات أو الوصول إلى المكانة المنشودة، هذاءات العظمة، هذاءات الاضطهاد، الشخصيات المتبلدة أو الفصامية. ونفسيَّة غلاة التكفير لا تقبل الوسطيَّة والتَّجزيء، فإمَّا معها أو ضدَّها، غلْظة في الطبع، الإجْمال وكره التفصيل، والشدَّة على المخالف حالَ الإنكار عليه، مع تعْظيم الذات والانتِصار لها.

والله أسأل أن يوفق المسلمين جميعاً لما يحب ويرضى
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجـــع

- إبراهيم بن عامر الرحيلي (٢٠٠٨م) " التكفير وضوابطه" القاهرة: دار الإمام أحمد.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزيه) (ب:ت) "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة " بيروت: دار الكتب العلمية .
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)" إعلام الموقعين عن رب العالمين" تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (١٩٧٣م)، بيروت: دار الجيل.
- أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام (٢٠٠٧م) " بداية الانحراف ونهايته " صنعاء: دار الآثار.
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية "الاستغاثة في الرد على البكري" تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي (١٤١٧هـ)، الرياض:دار الوطن.
- أحمد توفيق (٢٠٠٦م) " الإيحاء العقلي" عمان: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- أحمد محمد أحمد جلي (١٩٨٨م) " دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة" الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- أسماء بنت عبد العزيز الحسين (٢٠٠٩م) "الأسباب النفسية للإرهاب والعنف والتطرف" www.assakina.com/book/book19/3530.htm
- الإمام الشافعي محمد بن إدريس "الرسالة للإمام المطلبي للشافعي"تحقيق: أحمد محمد شاكر (١٩٩٠م)، القاهرة: دار الكتب العلمية .
- أنور الصادي " الصحة النفسية في بناء شخصية المسلم".
  http://www.elssafa.com/vb/archive/index.php/t–428.html
- بدر بن ناصر البدر (٢٠٠٩م) " التحذير من الغلو في ضوء القرآن الكريم " الرياض: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، سلسلة أبحاث قرآنية ميسرة .
- بكر محمد سعيد " اعتراضات صحة القياس" بحث غير منشور.

- بكر محمد سعيد (٢٠٠٩م) " أبعاد البنية والعمليات المعرفية وتأثيرها على الحلول الابتكارية للمشكلات لدى طلاب الصف الأول الثانوي في ضوء أساليب التفكير" رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية.
- بليل عبد الكريم (٢٠١٠م) " نفسية الخوارج "
http://www.assakina.com/center/4725.html
- بندر بن محمد حسن الزيادي العتيبي" اتخاذ القرار وعلاقته بكل من فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية لدى عينه من المرشدين الطلابيين بمحافظة الطائف" رسالة دكتوراه: كلية التربية جامعة أم القرى.
- جمعية الطب النفسي الأمريكية (٢٠٠٤م)" مرجع سريع إلى المعايير التشخيصية من الدليل التشخيصي والإحصائي المعدّل للأمراض العقلية" ترجمة تيسير حسون. http://hayatnafs.com/forspecialists/page1.htm
- خالد بن عبد الرحمن بن رشيد القريشى (٢٠٠٨م) " الإرهاب الفكري– مفهومه بعض صوره سبل الوقاية منه" الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية: سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب.
- خالص جلبي (٢٠٠٤م)" التعصب أوله تدين خاطئ ونهايته دماء"صحيفة الوطن السعودية–٢٠٠٤/٠٣/٢١م.
- خليل محمد خليل (٢٠٠١م) " النفس كما تحدث عنها القرآن " الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية :سلسلة من ينابيع الثقافة.
- سراج الدين اليماني (٢٠٠٥م) "منهج الأئمة في التعامل مع المخالف"الإسكندرية: دار الإيمان.
- سلمان بن فهد العودة (٢٠١٠م) " الثابت والمتغير عند الأئمة الأربعة "
www.okaz.com.sa/new/Issues/.../Con20100710360741.htm
- سلمان بن فهد العودة مجلة الإصلاح العدد ٢٥٧ ربيع الثاني ١٤١٤هـ.
- سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل (٢٠٠٧م) " مفهوم الجماعة والإمامة

ووجوب لزومهما وحرمة الخروج عليهما في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح " الرياض: مطبعة الحميضي.

- سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل(٢٠٠٧م) "مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام– دراسة شرعيه علمية تطبيقية على المملكة العربية السعودية .
- سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل(٢٠٠٩م) " التنبيهات السنية في بيان ما يسمى بالأعمال والعمليات الجهادية " الرياض: مطبعة الحميضى.
- صالح بن فوزان الفوزان (٢٠٠٧م) "بيان وتوضيح"

http://www.alfawzan.ws/AlFawzan/MyNe...=454&new_id=45

- طارق الحسين (٢٠٠٣م) " هوس البدعة " l7ewar.maktoobblog.com/1620005
- طارق بن على الحبيب (٢٠١٠م) "الجانب النفسي في دراسة ظاهرة الغلو في المجتمع السعودي" http://acofps.com/vb/showthread.php?t=3841
- عالية السادات شلبي (٢٠٠١م) "كفاءة التمثيل المعرفي للمعلومات وأثرها على التحصيل الدراسي لدى ذوي صعوبات التعلم من تلاميذ المرحلة الإعدادية". رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنصورة.
- عبد الرحمن بن فؤاد الجار الله " قواعد في التكفير"(٢٠١٠م)

http://www.saaid.net/Doat/aljarallh/15.htm

- عبد الرحمن بن معلا اللويحق (١٤٢٠هـ) " مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر– الأسباب– الآثار – العلاج " لبنان مؤسسة الرسالة .
- عبد الرحمن بن معلا اللويحق (٢٠٠٢م) " الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة– دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف الأصولية " لبنان مؤسسة الرسالة.
- عبد الستار الراوي (١٩٨٠م) " العقل والحرية – دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلى" بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ٣٤عبد الله بن محمد العمرو" أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية: رؤية ثقافية بحث مقدم إلى مؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب مؤتمر عالمي

يعالج قضايا الإرهاب والعنف والغلو" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١–٣ ربيع الأول ١٤٢٥هـ.

- عبد الله سعد (١٤٢٦هـ) " أمن الوطن= مقاومة الفكر التكفيري" الرياض: مطابع الرجاء .
- عبد الله سلام السامرائي (١٩٧٢م) " الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية"بغداد: دار الحرية للطباعة.
- عبد المقصود بن محمد سعيد خوجه " التعامل مع الإرهاب والعنف والتطرف " بحث مقدم إلى مؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب مؤتمر عالمي يعالج قضايا الإرهاب والعنف والغلو" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١–٣ ربيع الأول١٤٢٥هـ.
- عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو" أدب المفتي والمستفتي" تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر(١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت.
- عفاف بنت حسن بن محمد مختار(٢٠٠٠م) " تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السلف:" الرياض: مكتبة الرشاد.
- على بن إبراهيم بن حمد النملة (٢٠٠٨م) " فكر التصدي للإرهاب مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار" الرياض: جامعة الإمام محمد بن الإسلامية: سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب.
- علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري " التبصير بقواعد التكفير" منشورات الدعوة السلفية كتاب رقم (٨٦)

www.sahab.net/forums/showthread.php?t=319371

- على بن محمد بن ناصر الفقيهى (١٤٢٩هـ) " الوسطية ونبذ الغلو" الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

http://www.elssafa.com/vb/archive/index.php/t–428.html

- فاضل تركي (٢٠٠٥م) " تسع حقائق عن التفكير الصحيح ".

"http://majdah.maktoob.com/vb/majdah98834

- فاضل تركي (٢٠٠٥م) "عشر مغالطات منطقية
http://www.alnaja7.org/forum/showthread.php"
- فاضل تركي (٢٠٠٥م) "كشف مغالطات المنطق
http://www.doroob.com/?p=227"
- فتحي مصطفي الزيات (١٩٩٦م): "سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي". القاهرة، دار النشر للجامعات.
- فتحي مصطفي الزيات (١٩٩٨م): "الأسس البيولوجية والنفسية للنشاط العقلي". القاهرة، دار النشر للجامعات.
- كوكب عامر(١٩٩٣م) " أسس التفكير السليم في الكتاب والسنة " القاهرة: مكتبة النهضة العربية.
- محمد الغزالي (١٩٨٩م) " التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية" القاهرة: دار النشر الإسلامية
- محمد بن سعود البشر (١٤٣٠هـ) " حرية الرأي في الإسلام والنظم الحديثة الرياض: جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.
- محمد بن على الشوكانى " السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار" تحقيق: محمود إبراهيم زايد (١٩٨٨م) القاهرة: المجلس الأعلى للأوقاف والشؤون الإسلامية.
- محمد سعيد رمضان البوطي (٢٠٠٣م) " هكذا فلندع إلى الإسلام "سوريا: دار الفكر.
- محمد سليمان داوود (١٩٨٤م) "نظرية القياس الأصولي منهج تجريبي إسلامي"الإسكندرية: دار الدعوة.
- محمد عابد الجابري (١٩٧١م) " العصبية والدولة – معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي":الدار البيضاء: دار الثقافة .
- محمد عبد الحكيم حامد(٢٠٠٦م) " أئمة التكفير – ظاهرة التكفير في

العصر الحاضر – أصولها الفكرية وطرق العلاج " القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع .

- محمد عثمان شبير (١٤٢٠هـ) " تكوين الملكة الفقهية" سلسلة كتاب الأمة "السنة التاسعة عشر، العدد، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- محمود عقلان (٢٠٠٩م) " قراءة في طبيعة السلوك السوي والسلوك المرضي" http://www.alnafsy.net/ar/index.php?p=main&id=410
- مشير سمير " معايير النضج النفسي (٦) التفكير الصحيح والسليم" الحوار المتمدن"، العدد: ٢٧٨٩ – ٢٠٠٩/١٠/٤م المحور: الفلسفة ، علم النفس ، وعلم الاجتماع .
- نانسي أبو الفتوح (٢٠٠٨م) " الريادة والتميّز في المنهج العلمي عند المسلمين".
- هيئة كبار العلماء (١٤١٩هـ) " بيان هيئة كبار العلماء حول خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت".

islam.com/Display.asp?id=2&f...9 – mahawer.al

- يوسف بن عبد الله الشبيلي " فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب " بحث مقدم إلى مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد بجامعة الإمام محمد بن الإسلامية بالرياض الفترة من ٢–١٤٢٥/٣/٣هـ.
- Chin–Chung, T. and Cheo–Ming, H. (2001): Development of cognitive structures and information processing strategies of elementary school students learning about biological "Reproduction" Journal of Biological Education. Vol. (36), issue (1) pp.21–27
- Deborah Ann Wendland, B.A. " Depression in Youth: Exploring The Relationship Among Maternal Depression Symptomatology Perceived Critical Maternal Messages and The Cognitive Triad "Presented to the Faculty of the Graduate School of The University of Texas at Austin in partial fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy , the University of Austin , 2004
- Itiel E. Dror "(2007) Perception of Risk and the Decision to Use Force"

Oxford University Press.

- Neria Y. , David Roe, Benjamin Beit–Hallahmi ,Hassan Mneimneh , Alana Balaban , Randall Marshaall " The AL Qaeda 9/11 instructions: study in the construction of religious martyrdom " Religion 35(2005)1–11
- Richard M. Wenzlaff, Daniel M. Wagner , David W. Roper " Depression and Mental Control: The Resurgence Of Unwanted Negative Thoughts " Journal of Personality and Social Psychology:1988,Vol,55NO. 6,882–892
- Ying–Tien, Chin Chung, Development of Elementary School Students' Cognitive Structures and Information Processing Strategies under Long–Term Constructivist–Oriented Science Instruction Science Education, v89 n5 p822– 846 Sep 2005